الإعلامي
محمد الجمسي

المشير الجمسي

سيرة و مسيرة

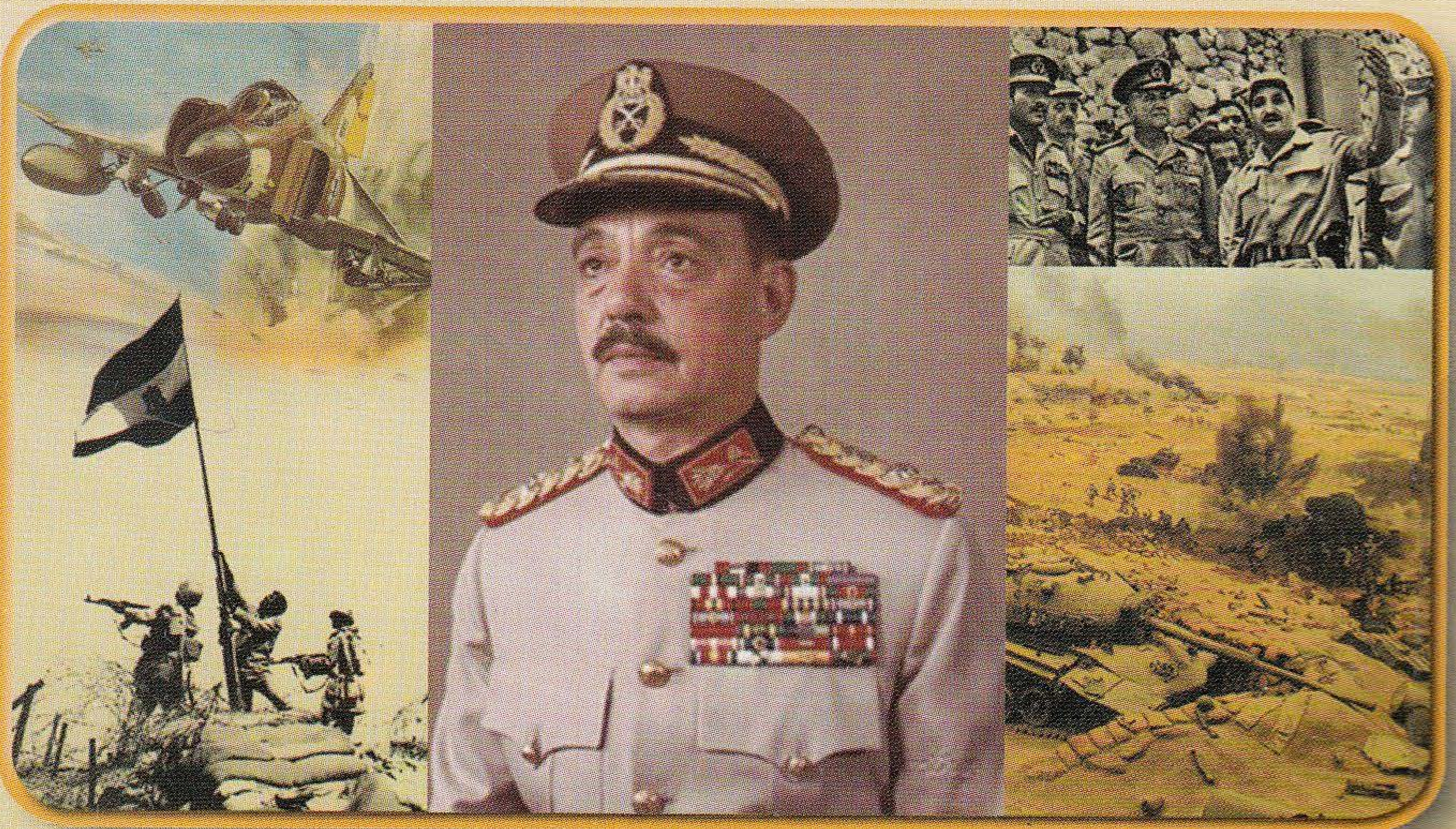

Editions Al-Adab 1923
42 Opera Square - Cairo Tel:(202) 23900868

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

المشير الجمسي

سيرة ومسيرة

تأليف

الإعلامي/ محمد الجمسي

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة ـ ☎: ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail:adabook@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

مكتبة الآداب

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الجمسي، محمد.

المشير الجمسي: سيرة ومسيرة/ محمد الجمسي.-

ط١.- القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠.

ص ٢٠١ سم.

تدمك ٥ ٢٨٠ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القادة العسكريون

٢ - الجمسي

أ - العنوان

٩٢٢,٥٥

عنوان الكتاب: سيرة ومسيرة

اسم المؤلف: المشير محمد الجمسي

رقم الإيداع: ٢٤٠٦٠ لسنة ٢٠١٠م

الترقيم الدولي: I.S.B.N.978 - 977 - 468 - 280 - 5

مكتبة الآداب

(علي حسن)

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)-

e-mail: adabook@hotmail. com

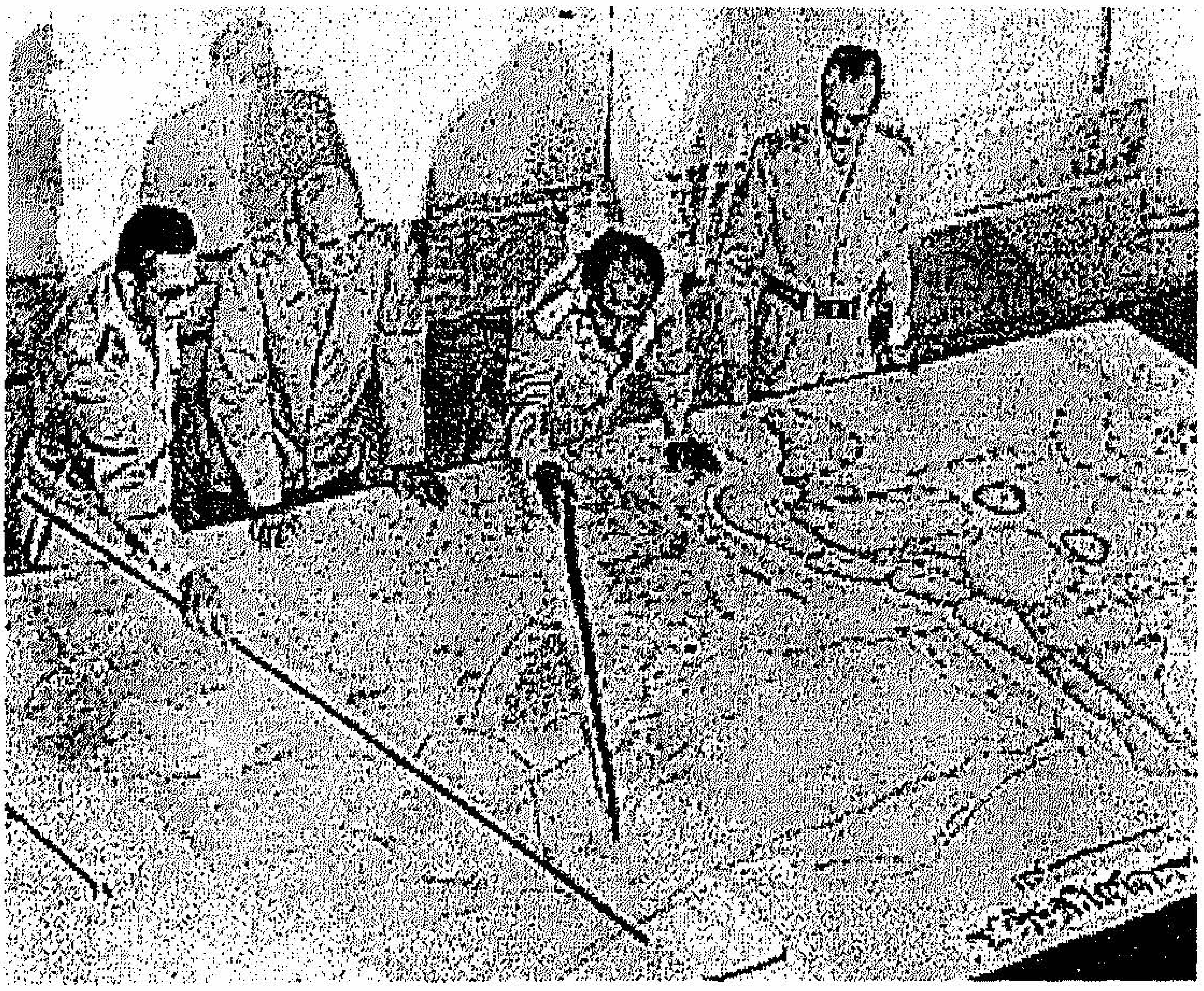

مقدمة

منذ فترة طويلة وتراودني فكرة الكتابة عن مسيرة حياة المشير محمد عبد الغني الجمسي لأسباب كثيرة، فهو الرجل الذي حدد التوقيت المناسب لبداية عبور قناة السويس وتحقيق نصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ الساعة الثانية بعد الظهر، وبذلك ساهم في رفع رأس مصر عاليا بالأخذ بالثأر بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ بعد أن اعتقد الأعداء بأن مصر لن تقوم لها قائمة ولن يُرفع لها جبين .

ولكن بعزيمة شعب مصر وبإصراره وصبره ورفضه للهزيمة، وبقيادة رجال عظام آمنوا بربهم ووطنهم وشعبهم أمثال المشير محمد عبد الغني الجمسي أمكن تحقيق النصر، وأمكن عبور شعب مصر إلى رحاب أوسع من الثقة بالنفس والإيمان بالذات وإلى واقع جديد تتحرر فيه الأرض ويسود فيه السلام وإن كان ناقصًا، وتسيطر فيه الرغبة في التقدم وتحقيق التنمية واللحاق بقطار العصر الذي يسير سريعًا سريعًا.

والسبب الثاني: هو أن كل مَن قابلته من العسكريين يشهد بكفاءة وحُسن أداء وإخلاص وأخلاق المشير محمد عبد الغني

الجمسي؛ فلقد كان -رحمه الله- يحترم رؤسائه ويطيع أوامرهم ولا يسيء إليهم، وكان يتعامل بمودة وحب وتواضع وأخلاق رفيعة مع مرؤوسيه فكسب حبَّ الجميع وتقديرهم.

والسبب الثالث: هو شهادة الأعداء قبل الأصدقاء بإخلاص المشير الجمسي لمصر وحبه الشديد، لها ذلك الحب الذي جعله يعطي أحسن ما لديه من فنون القتال ومراوغات الحرب حتى يحقق لمصر النصر والعزة والكرامة، فقال عنه الأعداء بأنه «النحيف المخيف» لأنه أخافهم بخططه العسكرية التي أذلتهم وقضت على أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر.

والسبب الرابع : أنني أنتمي إلى العائلة الكبيرة التي ينتمي إليها المشير محمد عبد الغني الجمسي وهي عائلة «الجمسي»، وهي عائلة كبيرة وفروعها ممتدة في كل بر مصر، كما أن هذه العائلة جذورها ممتدة في التاريخ المصري. وقد أعطت هذه العائلة لمصر الكثير من الرجال المخلصين والأكفاء على كل المستويات.

وأرجو من الله أن يكون هذا الكتاب مبينًا لبعض من سيرة حياة المشير محمد عبد الغني الجمسي حتى تتعلم الأجيال القادمة كيف

تعمل وتكد وكيف تخلص لمصر وتعمل من أجلها، ولكي تكون منارًا لكل من يعشق مصر ويعمل على تطورها وازدهارها.

كما أرجو أن يكون هذا الكتاب جزءًا يسيرًا من رد الجميل لهذا الرجل القائد الذي أهدى لشعب مصر الحاضر والمستقبل وأعاد له العزة والكرامة.

كما أهدي هذا الكتاب إلى روح المشير محمد عبد الغني الجمسي وإلى روح والدي عبده مجاهد الجمسي الذي فخر بانتمائه إلى عائلة المشير الكبيرة «عائلة الجمسي»، وجميعنا ينتمي إلى العائلة الأم والأصل وهي مصر، ويفخر بانتمائه لها، ويعمل على تطورها وازدهارها.

محمد الجمسي

الإعلامي وعضو المركز الصحفي

مبنى الإذاعة والتليفزيون

الفصل الأول

لمحات سريعة من حياة المشير

لأن حياة المشير محمد عبد الغني الجمسي حافلة بالمواقف ومليئة بالتواريخ المضيئة ولأن مشوار الحياة كان طويلاً ويصعب على المتابع الإلمام بكل ما فيه فكان لابد أن أختصر مشوار حياة المشير في نقاط سريعة عبارة عن لمحات ثم أدخل في التفاصيل:-

١- وُلد المشير في قرية البتانون محافظة المنوفية في شهر سبتمبر عام ١٩٢١.

٢- تلقى تعليمَهُ الأولي بكتَّاب القرية ثم بالمدرسة الابتدائية بها ثم تدرج في التعليم بمدارس المحافظة حتى أنهى المرحلة الثانوية.

٣- التحق بالكلية الحربية شابًا عمره سبعة عشر عامًا وواحد وعشرون يومًا، وتخرج منها في عام ١٩٣٩ وتخصص في سلاح المدرعات وكان من جيله جمال عبد الناصر وغيره من الضباط الأحرار.

٤- شارك في **معركة العلمين** عند اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث دارت أعنف معارك المدرعات بين قوات الحلفاء بقيادة مونتجمري والمحور بقيادة روميل، وكانت تجربة مهمة استفاد منها في حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

٥- في عام **١٩٤٨** سافر في **بعثة دراسية عسكرية إلى الاتحاد السوفيتي** وكان يتابع ما يحدث بالمنطقة العربية من بُعد بكل ألم وحزن، فلم تكن الجيوش العربية على استعداد كامل لخوض هذه حرب٤٨ ،كما أن الدول العربية كانت تحت الاحتلال إما البريطاني أو الفرنسي، كما أن قادة هذه الجيوش إما عملاء للأجنبي أو خونة كقائد الجيش الأردني «جلوب باشا» البريطاني الجنسية.

٦- وفي عام **١٩٥١ تخرج من كلية أركان الحرب** التي تلقى فيها العلوم العسكرية بعمق أكبر وعلى يد خبراء عسكريين على مستوى عال من العلم والكفاءة، ثم تخرج من الأكاديمية العليا العسكرية التي صقلت موهبته العسكرية وزادت من إلمامه بفنون وعلوم القتال.

٧- تولى قيادة اللواء الخامس مدرعات بمنطقة القناة في معركة السويس عام ١٩٥٦ وأبلى بلاءً حسنا في تكبيد العدو كثير من الخسائر.

٨- كما تولى رئاسة أركان حرب المدرعات عام ١٩٥٧.

٩- كما قاد اللواء الثاني مدرعات عام ١٩٥٨.

١٠- .وفي عام ١٩٦٠ التحق ببعثة المدرعات في أكاديمية فرونز بالاتحاد السوفيتي.

١١- ولكفاءته العسكرية وثقة القيادتين السياسية والعسكرية به رُقي إلى رتبة لواء ١٩٦٥.

١٢- وعندما اقترب موعد المواجهة بين الأمة العربية من جانب وإسرائيل وأمريكا وقوى الغرب من جانب آخر عين رئيسا لعمليات القوات البرية ١٩٦٦ ثم رئيسا لأركان حرب الجيش الثاني ١٩٦٧.

١٣- بعد نكسة ١٩٦٧ صُدم صدمةً عنيفةً نفسيًا وعسكريًا حيث أن الجيش المصري لم يحارب كما أن المواجهة مع العدو لم

تكن كاملة ومتكافئة؛ لتهاون القائد العام للقوات المسلحة وبعض القادة العسكريين الكبار، وكان ينوي تقديم استقالته لولا تمسك القيادة السياسية بقيادة جمال عبد الناصر به والقيادة العسكرية الجديدة بقيادة الفريق أول محمد فوزي إلى جانب إصراره وإصرار أسرته على مواصلة العمل والعطاء لمحو آثار النكسة وتحرير كامل التراب المصري والعربي.

١٤- وفي عام ١٩٧١ عُين رئيسًا لهيئة تدريب القوات المسلحة لإعداد الجندي المصري إعداداً جيداً لخوض معركة التحرير .

١٥- كما أنه في الفترة من عام ١٩٦٧ وبعد النكسة مباشرة قاد حرب الاستنزاف حتى عام ١٩٧٠، تلك الحرب التي مهدت لنصر أكتوبر ١٩٧٣، وكانت من العوامل الرئيسة لنجاح عملية عبور القناة واستعادة سيناء وتحقيق النصر.

١٦- وعندما اقترب موعد النصر بغية الإعداد لتحقيقه بكل جدية عُين رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة في يناير ١٩٧٢ وقبلها كان رئيس هيئة المخابرات الحربية.

١٧- وبعد تحقيق النصر ونجاح عملية العبور وتقديرًا له ولكفاءته ودوره الحيوي في هزيمة العدو وإلحاق أكبر الضرر به والقضاء على أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم رُقي رئيسًا لأركان القوات المسلحة عام ١٩٧٤.

١٨- وبعد وفاة المشير أحمد إسماعيل علي وزير الحربية، الذي كان صديق عمره وكان يحمل له كل حب وتقدير وإعجاب بكفاءته العسكرية وحسن أدائه لم تجد القيادة السياسية أفضل من المشير الجمسي ليكون وزيرًا للحربية وقائدًا عامًّا للقوات المسلحة في ديسمبر ١٩٧٤، فكان آخر وزير حربية مصري، حيث تحول اسم وزارة الحربية بعد ذلك إلى وزارة الدفاع.

١٩- وفي ١٥ أبريل عام ١٩٧٥ تمت ترقيته نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للحربية.

٢٠- ولأنه ابن مصر الأصيل أخذ جانب الفقراء من أبناء الشعب المصري ورفض نزول الجيش لقمع الانتفاضة الشعبية ضد قرارات رفع الأسعار في ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ وضَرْبها وضرْب جماهيرها، بل وافق على نزول الجيش فقط لتأمين المواقع الحيوية

والعسكرية ضد أيادي المخربين الذين قد يندسون وسط الجماهير لتشويه صورة الانتفاضة والإساءة لمصر.

٢١- وتماشيًا مع مبادئه وعقائده الثابتة التي وضحت في النقطة السابقة فقد اعترض على تعيينه رئيسًا للوفد المصري في مباحثات الكيلو ١٠١ طريق القاهرة السويس في ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ لفصل القوات المصرية والإسرائيلية بعد عملية "الثغرة" وقال بأنه لا يريدها ولا يرغب في تنفيذها، فقد أمضى حياته العسكرية كلها في حرب ضد إسرائيل، فضلاً عن أن حرب أكتوبر لم تنته برغم توقف القتال مؤقتا وليس هناك ما يدعو لبحث أي موضوع عسكري معهم، لكنه وافق بعد أن أوضح المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية بتعليمات من الرئيس السادات أن هذه مجرد مباحثات وأنها في النهاية لصالح مصر والجيش المصري.

٢٢- وفي يوم الخميس ٥ أكتوبر ١٩٧٨ أدت وزارة الدكتور مصطفى خليل اليمين الدستورية وخرج المشير من الوزارة كآخر وزير للحربية وتم تعيينه مستشارًا عسكريًا للرئيس السادات، وجاء الفريق كمال حسن علي وزيرًا للدفاع. لقد كان من الواضح أن

استمرار المشير الجمسي أصبح مستحيلا بعد أن انتهج الرئيس السادات سياسة التفاوض والمباحثات المباشرة مع إسرائيل وهو الذي عُرف بعدائه الشديد لها.

٢٣- وبعد ذلك تقدم المشير الجمسي باستقالته؛ لعدم قدرته على الاستمرار في هذا الجو السياسي والعسكري الجديد، ولكن حُفظت استقالته، وفي عام ١٩٧٩ رقي إلى رتبة مشير، وفي عام ١٩٨٠ قُبلت استقالته التي كان قد تقدم بها وقد كان ينتظر الرد عليها بفارغ الصبر، وحمد الله أن توج تاريخه العسكري بهذا النصر العظيم الذي تحقق في ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

الفصل الثاني

من مرحلة الطفولة حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وُلد المشير محمد عبد الغني الجمسي بقرية البتانون بمحافظة المنوفية في شهر سبتمبر ١٩٢١، وكان له خمسة أشقاء فقط، وقد نشأ في رعاية وكنف والده الذي توفي في الشهر والعام الذي وقعت فيه النكسة أي في يونيو ١٩٦٧ فكان حزنه مضاعفًا.

نشأ محمد في أسرة ميسورة الحال، فكان والده من أعيان المنوفية، وخلال حياته أوقف نحو ثلاثين فدانا للأعمال الخيرية، وكان يتمتع بسمعة طيبة لتعامله مع الناس بشرف ونزاهة وأمانة، وكانت والدته سيدة ريفية تحمل قيم الريف المصري آنذاك، فكانت سيدة محافظة متدينة تخاف الله وتعامل الجميع بمودة ورحمة. لقد نشأ المشير في أسرة مستقرة عائليا ومتراحمة، مما أثر على شخصيته في تعامله مع أقرانه أطفال القرية من حب الخير وعدم الميل إلى العنف، وكان مميزًا بقيادته وشخصيته المنفردة حتى التحق بكتّاب القرية الذي حفظ به جزء يسيرًا من القرآن الكريم وتعلّم كتابة

الحروف الأبجدية والكلمات إلى أن التحق بالمدرسة الابتدائية بقرية البتانون وكان متفوقًا بين زملائه، وكان يحظى بإعجاب أساتذته لذكائه المبكر ومهارته ودقته في عمل واجباته المدرسية، إلى أن اشتد عوده وتقدم في الدراسة والتحق بالمدرسة الثانوية بالمنوفية وكان حينئذ قد أصبح شابًا يافعًا وقد تعامل مع أساتذته وزملائه بود واحترام، فعلى الرغم من ثراء والده وكبر حجم عائلته الكبيرة عائلة «الجمسي» كان يتعامل مع الجميع بتواضع ومودة فكان لا يؤمن بعصبية العائلات ولا بمفسده المال؛ فالعائلة الكبيرة من أجل التعاون من أجل البر لا من أجل الإثم والعدوان. والغنى أو الثراء من أجل مد العون للفقراء والمحتاجين والمساهمة في أعمال الخير مع عدم التكبر على الآخرين. وقد تعلم هذه الصفات من والده الذي تبرع بثلاثين فدانا للأعمال الخيرية، ومن والدته التي كانت تساعد الفقراء وتعطي المحتاجين وقد تعلم من أسرته أن يكون ولاؤه أكبر لمصر وللعروبة والإسلام.

وعندما بلغ من العمر سبعة عشر عامًا وواحدًا وعشرين يومًا التحق بالكلية الحربية.

وبالنسبة له كان الأمر سهلاً فالالتحاق بالكلية كان قاصرًا على من تتوفر فيهم شروطا إضافية معينة بخلاف الشهادة الدراسية واللياقة البدنية والهيئة المناسبة، من هذه الشروط ثراء الأسرة أو شهرتها الاجتماعية أو مقدار ما يملك الوالد من مال وجاه، وكان عند التحاقه بالكلية الحربية يملك كل هذه الشروط، وتخرَّج منها في عام ١٩٣٩ وتخصص في سلاح المدرعات، وكان من جيله الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي تخرج من الكلية الحربية في أول يوليو ١٩٣٨ وألحق بسلاح المشاة.

وبعد تخرجه من الكلية الحربية بسنوات قليلة وفي عام ١٩٤٢ أرسل إلى الصحراء الغربية للمشاركة في معركة العلمين عند اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث دارت معارك مدرعات عنيفة في قلب الصحراء الشاسعة والقاسية بين قوات الحلفاء بقيادة مونتجمرى وقوات المحور بقيادة روميل.

لم يكن المشير الجمسي مقتنعا بمشاركة مصر في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، حيث شاركت مصر في هذه الحرب نيابة عن بريطانيا وحلفائها ضد دول المحور بقيادة ألمانيا وإيطاليا واليابان، وذلك بعد

أن وعدت بريطانيا مصر بإعطائها الاستقلال التام بعد انتهاء الحرب وتحقيق النصر، وهو الوعد الذي لم يتحقق بعد أن فقدت مصر الكثير من أبنائها واقتصادها واستقرارها.

وقد استفاد المشير كثيرًا من هذه الحرب وفنونها، واكتسب خبرة كبيرة في فن قتال المدرعات ليطبقها بعد ذلك في حرب أكتوبر ١٩٧٣ . ولكنه عاد من هذه الحرب حزينًا، فالحرب ليست مصرية مائه في المائة كما أنها كانت نيابة عن دولة استعمارية هي بريطانيا كما أن مصر لم تحصل على استقلالها كما وعدت بريطانيا. وقد كان مقتنعا بأن بريطانيا لن تفِيَ بالوعد وأنها لن تتخلى عن مصر كمستعمرة؛ لوجود ملك فاسد لا يهمه إلا ملذاته الخاصة وأحزاب هلامية تدَّعي دفاعها عن الاستقلال وعن حقوق المصريين في الصباح، وفي المساء تنافق الملك. ولسيطرة الإقطاع ورأس المال على الحكم، ولم تكن مصر للمصريين، بل كانت لحفنة من كبار رجال الأحزاب والسياسة ومن رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة ومن أصحاب الأطيان من الإقطاعيين، ولم يكن بمصر جيش قوي يدافع عن حقوق ومطالب الفلاحين والعمال وكل فئات المجتمع الأخرى والبسيطة في الحرية والاستقلال والسيادة وأن

يعود خير مصر إليهم وهم أصحابها الحقيقيين، ولهذا كان من الطبيعي أن تقع هزيمة ١٩٤٨ ، وكان الجمسي قد سافر وقتها في بعثة عسكرية إلى الاتحاد السوفيتي ولم يشارك في هذه الحرب الكارثة. وقد كانت الأسباب الحقيقية لهذه الهزيمة إلى جانب الوضع الداخلي في مصر ووجود الملك الفاسد أن كل الدول العربية كانت تَرْزَحُ تحت وطأة الاستعمار إما البريطاني أو الفرنسي أو الإيطالي، كما أن الجيوش العربية كانت غير مهيأة لخوض هذه الحرب في الوقت الذي استعدت فيه إسرائيل لخوضها بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى، هذا علاوة على أن قائد هذه الجيوش العربية كان غير مناسب وكان قائد الجيش الأردني مثلاً مستعمر بريطاني هو «جلوب باشا»، هذا علاوة على وجود بعض الأسلحة الفاسدة في أيادي الجنود العرب وخاصة المصريين التي كانت ترتد عندما يتم إطلاقها إلى صدورهم.

لقد كان شعار بن جوريون مؤسس ما يسمى دولة إسرائيل الذي أطلقه حينئذ عام ١٩٤٨ «بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار تعود من جديد» وكان ذلك تأكيدًا لقرار من الصهيونية العالمية يقضي بأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لإنشاء الدولة،

وكما كان إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ليس هدفا في حد ذاته، بل مرحلة للتوسع على حساب الأرض العربية كاملة والسيطرة عليها، فقد أصبحت القوة العسكرية الإسرائيلية بمساعدة الدول الاستعمارية التي أعطتها حق الوجود- لها الدور الأقوى والأهم ومصدر الخطر الرئيسي على كل الأقطار العربية مجتمعة.

وبهزيمة عام ١٩٤٨ استولت إسرائيل على أراض عربية فلسطينية بزيادة قدرها ٣٠٪ على نصيبها في قرار تقسيم فلسطين بين العرب وإسرائيل الصادر عن الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧.

وقد كان من الطبيعي أن ينتفض الشعب المصري ويثور جيشه على ما آلت إليه الأوضاع من تردٍّ في الداخل ومن هزيمة، فانفجرت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورفاقه من الضباط الأحرار، وقد أيدها الشعب المصري وخرج عن بكرة أبيه يهتف للثورة مؤيدًا لقراراتها وأهدافها التي تعبر عمَّا يدور في وجدانه وتعمل على بناء مستقبل مشرف لمصر وكان المشير الجمسي قد تخرَّج عندئذ وقبل قيام الثورة بعام واحد ١٩٥١ من كلية أركان الحرب التي تلقَّى فيها العلوم العسكرية

بعمق أكبر، كما تخرَّج من الأكاديمية العليا العسكرية، وقد أيد الثورة بكل قوة؛ فهو ابن الجيش المصري الذي قام بالثورة، كما عاش مرارة هزيمة ١٩٤٨ وهو في بعثته العسكرية بالاتحاد السوفيتي، كما اختلط بالفلاحين بقريته البتانون ولمس عن قرب ما يعانيه الفلاح المصري والإنسان المصري بشكل عام من فقر وجهل ومرض وذل الاحتلال ومعاناته من عملاء الاستعمار. فالمشير الجمسي ابن الرجل الثري لم ينفصل أبداً عن طبقات الشعب المصري وشعَر بالأوضاع السيئة التي كانت تحياها في ظل الاحتلال البريطاني والملكية الفاسدة؛ لهذا أيَّد الثورة بشدة لكي تصحح الأوضاع إلى الأفضل.

* * *

الفصل الثالث

الجمسي وحرب ١٩٥٦

والسنوات التي تلتها

بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ انتهجت مصر سياسة داخلية تقوم على ضرورة التقدم الاقتصادي ورفع مستوى دخل الفرد وأدركت أنه لن يتم هذا إلا ببناء السد العالي بأسوان لزيادة الرقعة الزراعية وتوليد الكهرباء اللازمة للتقدم الصناعي، كما انتهجت سياسة خارجية تدعو إلى القومية العربية ولَمِّ الشمل العربي وضرورة الوقوف بجانب الشقيق ومساندته حتى يحصل على استقلاله ومن ثم فقد وقفت بجانب ثورة الجزائر بقيادة أحمد بن بللا ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يعتبر الجزائر جزءًا لا يتجزأ من فرنسا.

ولكي تحقق مصر كل هذا كان لابد من بناء جيش وطني قوي قادر على حماية التقدم والممتلكات الخاصة بالشعب، وفي الوقت ذاته مساعدة الشعوب المتطلعة إلى الاستقلال في الوطن العربي وفي

دول العالم الثالث، ومن ثم لا يكون إمداد مصر بالسلاح حكرًا على مصدر واحد بل من مصادر متنوعة ومتعددة فكان توقيع صفقة الأسلحة التشيكية بين مصر والاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٥ مما أزعج الغرب وأمريكا وإسرائيل لاتجاه مصر إلى بناء جيش وطني قوي يحافظ على استقلالها ويكون سندًا لكل العرب، وكان عَقْد هذه الصفقة ضروريا بعد اعتداء إسرائيل على غزة ١٩٥٥، لكل ما سبق ثارت ثائرة العالم الغربي وأمريكا ضد مصر وخاصة بعد مؤتمر باندونج بإندونيسيا عام ١٩٥٥ وإعلان كل من ناصر مصر وتيتو يوغسلافيا ونهرو الهند كتلة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز تضم كل دول العالم الراغبة في الاستقلال والتقدم وعدم الانحياز إلى أي حلف من الأحلاف أو إلى أي من المعسكرين سواء الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي والذي يقود حلف «وارسو» أو الغربي بقيادة الولايات المتحدة التي تقود الحلف الأطلنطي، فكان لابد من ضرب مصر التي تجرأت وخرجت عن الخط الاستعماري الغربي واحتكاره لمقدَّرات الشعوب، فأوعزت أمريكا إلى البنك الدولي بسحب تمويله لمصر لبناء السد العالي حتى لا يتم البناء وتظل مصر دولة متخلفة تزرع لصالح الأجنبي ولا تأخذ قرارًا ذا سيادة، فمَن

لا يملك قُوت يومه لا يملك قراره، ولكن مصر رفضت هذا الأسلوب اللاأخلاقي والتعسفي من الغرب وبدأت تبحث عن مواردها الحقيقية المنهوبة من قِبل الأجنبي، فكان قرار الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ بتأميم شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية تعود إلى مصر ويعود عائدها إلى الشعب المصري بعد أن كانت منهوبة من قِبل بريطانيا وفرنسا حتى يتم بناء السد العالي ويتم تنفيذ خطط التنمية الطموحة للارتقاء بمستوى مصر صناعيًّا وزراعيًّا وعلى كل المستويات، وكانت الفرصة أمام إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فشنت الدول الثلاث عدوانها الغاشم على مصر لاحتلال منطقة القناة بل وكل مصر وإسقاط ثورة ٢٣ يوليو وقائدها جمال عبد الناصر، وذلك بعد أن تم توقيع اتفاقية «سيفر» بفرنسا بين الدول الثلاث لتنفيذ خطة العدوان، وفي ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بدأت إسرائيل بالهجوم البري ضد القوات المصرية في سيناء، وفي ٣١ أكتوبر بدأت فرنسا وبريطانيا تدخلان الحرب بكل قوة مستخدمة الطائرات لضرب كل المطارات المصرية ومدن القناة ومساعدة القوات البرية الإسرائيلية. وقد صمدت مصر بكل قوة ضد هذا العدوان، وكان القرار السياسي صائبًا بسحب كل القوات

المصرية من سيناء حتى لا تدمر أمام التفوق الجوي الغربي.

وقف الشعب بجانب الجيش وارتفع صوت جمال عبد الناصر من الجامع الأزهر سنقاتل سنقاتل سنقاتل، وكان الجمسي حينئذ يقود اللواء الخامس مدرعات بمنطقة القناة وقد أبلى بلاءً حسنا في تكبيد العدو كثيرًا من الخسائر البشرية وفي المعدات، وكان يعمل على رفع الروح المعنوية لشعب القناة ومساندته في القضاء على قوات الغزو التي بدأت تنزل على بورسعيد ومدن القناة بالمظلات وقد كان لصمود شعب مصر ووقوفه خلف قيادته في مقاومة قوات الغزو الأثر الأكبر في تحقيق النصر وإجبار الأمم المتحدة ومجلس الأمن على إدانة العدوان وإجبار الدول المعتدية على الانسحاب وبداية انهيار الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية.

لقد انتصرت مصر عسكريا بفضل مقاومة الشعب وصموده بجانب الجيش والتي لولاها لما التفت العالم إلى ما يحدث بالمنطقة ولما اضطر مجبَرًا إلى مساندة شعب مصر.

وبعد انتهاء حرب ١٩٥٦ وكل من الشعب والجيش المصري يعيش فرحة النصر رُقّي الجمسي ليتولى رئاسة أركان حرب

المدرعات عام ١٩٥٧ كمكافأة له على نجاحه في قيادة اللواء الخامس مدرعات بمنطقة القناة عام ١٩٥٦ كما قاد المشير الجمسي اللواء الثاني مدرعات عام ١٩٥٨.

وقد كان اختيار أعضاء البعثات العسكرية إلى الخارج يخضع لمعيار الكفاءة العسكرية والتاريخ العسكري المشرف والأمانة والإخلاص في أداء الواجبات العسكرية وتنفيذها بشجاعة ونجاح ولهذا كان لابد من اختيار الجمسي عضوا في بعثة المدرعات أكاديمية فرونز العسكرية بالاتحاد السوفيتي ١٩٦٠.

وبعد عودته من هذه البعثة وفي عام ١٩٦٥ ولكفاءته العسكرية وثقة القيادة السياسية والعسكرية به تم ترقيته إلى رتبة لواء وكان عمره حينئذ ٤٤ عاما.

الفصل الرابع

الجمسي وحرب ٥ يونيو ١٩٦٧

بداية. لماذا بدأت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧؟

منذ تحقيق التصدِّي العسكري والنصر السياسي لمصر في حرب ١٩٥٦ وبسط السيادة المصرية على قناة السويس والملاحة بها بدأت مصر تخطو خطوات سريعة نحو التقدم والازدهار، فمع بدأ إشارة العمل بالسد العالي الذي ستنعكس آثاره على المستوى الاقتصادي والصناعي والزراعي وتوليد الكهرباء إيجابية ومبهرة كان أيضًا البدء في بناء المصانع والتقدم نحو حركة التصنيع الكبرى التي شهدتها مصر في تلك الفترة وبناء القطاع العام السند الأساسي للاقتصاد المصري، كما تم تحديد الملكية الزراعية وتوزيع الأراضي على صغار الفلاحين والتوسع في استصلاح الأراضي وتطبيق مبادئ السياسة الزراعية بحيث تكتفي مصر ذاتيا من المحاصيل الزراعية الرئيسية مثل القمح والأرز والذرة والقطن وقصب السكر. كما تم التوسع في إنشاء الجامعات والمدارس بعد أن أصبح

التعليم حقًا للجميع لأنه العامل الأساسي في تقدم أيه أمة؛ فبناء العقول أصعب من بناء المصانع؛ فالعقول المتعلمة الواعية التي تتسلح بسلاح العلم والمعرفة هي التي تبني الأمم والمجتمعات وتعمل على تقدمها ورفاهيتها.

وارتفع دخل المواطن المصري وارتفع مستوي معيشته بعد زيادة الإنتاج على المستوى الصناعي والزراعي، وبعد أن أصبح الجميع يعمل ويكد. كلٌ في مجاله وتخصصه. كل ما سبق كان على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فحققت مصر إنجازات عظيمة مثل مساندة ثورة اليمن بعد أن لبت نداء الشعب اليمني وزعيم ثورته عبد الله السلال الذي طلب مساعدة مصر لكي يحصل اليمن على استقلاله من الاستعمار البريطاني وعملائه من الرجعيين الذين كان يقودهم الإمام البدر. وقد كانت تلبية مصر لهذا النداء لإغاثة الشقيق أولاً، ولأن الأمن القومي المصري يتطلب ذلك ثانياً.

ثانيا: أن حماية باب المندب في جنوب البحر الأحمر الذي يترتب عليه حماية قناة السويس وحركة الملاحة بها يتطلب من مصر التدخل ضد أيه قوى تشكل تهديدًا لباب المندب الذي هو البوابة الرئيسية لقناة السويس والبحر الأحمر.

كما وقفت مصر ضد التدخل العسكري الغربي في الخليج العربي عندما منعت الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم من غزو الكويت عام ١٩٦١ وكان هذا الموقف المصري لحماية المصالح العربية في الخليج ولعدم إعطاء الأعداء أيه ذريعة للتدخل.

كما كان لمصر موقف عظيم في عدم نشوب حرب أهلية بلبنان عام ١٩٥٨. هذا إلى جانب تأييدها لثورة الجزائر ولحركات التحرر الوطني في أفريقيا وآسيا وكل دول العالم الثالث.

لكل ما سبق ذكره كان لابد من ضرب مصر من جانب قوى الاستعمار العالمي وشوكته إسرائيل، حتى يتم القضاء على هذه التجربة الثورية المصرية المؤثرة، أخذًا بالثأر من هزيمتهم السياسية المنكرة في حرب السويس ١٩٥٦، فكانت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ولتحقيق هذا الهدف الاستعماري لضرب مصر، والذي كان من عوامل التحضير له هو استفزاز القيادة المصرية باستعدادات إسرائيلية لغزو سوريا من جانب وضرب إسرائيل لقرية السموع الأردنية يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ بحجة تدمير قواعد الفدائيين الفلسطينيين من جانب آخر. فكان لا بد لمصر أن تتخذ موقفا قويا

تجاه هذه التهديدات والاعتداءات الإسرائيلية وهي الشقيق الأكبر لكل العرب، فأغلقت خليج العقبة ضد الملاحة الإسرائيلية وطلبت سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء، وبدأت مصر تستعد لأي هجوم إسرائيلي وحرصت على أن لا تكون هي البادئة بالضربة الأولى حتى لا تستعدي المجتمع الدولي ضدها تمشيًا مع نصيحة الأصدقاء لها وأولهم الاتحاد السوفيتي، وبدأت مصر في تنفيذ الخطة الدفاعية «قاهر» في سيناء بحيث تتلقى مصر الضربة الأولى بأقل الخسائر ثم تقوم بالرد بقوة لتلقن العدو درسًا لا ينساه، وقد وعد القائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر بتحقيق هذا، ولعل القول الشهير الذي قاله للقائد الأعلى للقوات المسلحة جمال عبد الناصر «برقبتي ياريس» على كل لسان مصري وعربي. لكنه لم يستطع تحقيق هذا الوعد ففي يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ حلق بطائرته هو وكبار القادة العسكريين في سماء سيناء وأعطى أمرًا بتقييد سلاح الدفع الجوي وأيضا القوات الجوية لأن طائرته في الجو، في هذه اللحظة قامت إسرائيل بعدوانها الغادر فهاجمت مصر بالطائرات الحربية ودمرت كل الطائرات المصرية على الأرض وبدأت تزحف على سيناء وأصبحت هي سيدة الموقف وبدأت تحصد في القوات

المصرية في سيناء التي أصبحت بلا غطاء جوي يحميها وانسحبت مصر من سيناء بشكل اعتباطي وبدون خطة، وكسبت إسرائيل الجولة ووصلت حتى البر الشرقي لقناة السويس، وأصدر مجلس الأمن قراره رقم ٢٤٢ بوقف إطلاق النار وسحب القوات الإسرائيلية إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧، وطبعاً كل هذا حبر على ورق. بعد ذلك أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تنحيه عن السلطة وتحمله كل المسئولية عما حدث، وهذه شجاعة منقطعة النظير منه؛ إذ أن المسئولية الكبرى كانت تقع على عاتق القائد العام للقوات المسلحة فهبّ الشعب المصري عن بكرة أبيه ورفض قرار التنحي، وأعلن تمسكه بزعامة جمال عبد الناصر حتى يتم القضاء على آثار العدوان وتحرير الأرض، وعاد عبد الناصر إلى الشعب وتراجع عن قراره تنفيذًا لإرادة الجماهير.

وقد كان الجمسي آنذاك في صباح الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ مع بعض زملائه داخل مركز القيادة المتقدم في سيناء، بينما توجه بعض القادة إلى مطار تماده في سيناء ليكونوا في استقبال القائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر عند وصوله في الساعة الثامنة والنصف صباحًا بينما وقع الاعتداء الإسرائيلي في الساعة التاسعة!

وبينما الجمسي في مركز القيادة المتقدم سمع انفجارات قوية سرعان ما علم أنه قصفٌ جوي إسرائيلي لمطاري تمادة والمليز في سيناء، ومن فوق تلٍّ عال شاهد الطائرات المعادية. اهتز الجمسي لما حدث وساوره القلق على مصير القادة الموجودين في مطار تماده، وفوق هذا وذاك على مصير الجنود والقوات التي أصبحت بلا غطاء جوي يحميها في الوقت الذي قيدت فيها أسلحة الدفاع الجوي والقوات الجوية لأن طائرة عبد الحكيم عامر في الجو.

هرع الجمسي إلى مركز القيادة وقام بالاتصال بهيئة عمليات القوات المسلحة بالقاهرة ليبلغها بقصف مطارات سيناء، فكانت الصدمة الكبرى عندما علم بأن باقي المطارات في منطقة القناة والقاهرة يتم قصفها بواسطة الطائرات الإسرائيلية، في نفس الوقت أيقن الجمسي بخبرته ومهارته العسكرية بأن الحرب قد بدأت وبأن الكارثة قد حلت، انتظر الجمسي في مركز القيادة المتقدم في سيناء يشاهد القوات بكل حزن وأسى فهو لا يملك أن يفعل شيئا- فالمطارات ضُربت والقوات بدون غطاء جوي – وهي تتدفق نحو الغرب في سيل جارف دون تنظيم، وكان يسأل نفسه مستنكرا: هكذا يكون الارتداد أو الانسحاب بدون خطه ودون تنظيم

والقوات الإسرائيلية تحصد في قواتنا حصداً!؟ وهل ينسحب القادة العسكريون إلى غرب القناة قبل انسحاب القـوات ولا يوجـد قائـد ينظم عملية الانسحاب؟! وفي يوم ٧ يونيـو ١٩٦٧ وصـلته رسـالة للعودة بمركز القيادة المتقدم إلى الإسماعيلية بعد أن شـاهد القـوات المنسحبة بشكل يدعو للأسى.

اعترض الجمسي على خطة الانسحاب من سـيناء وهـو القائـد العسكري الذي شـارك في معركـة العلمـين ولـه خبرتـه العسـكرية الكبيرة، حيث أن هذه الخطة لم تخضع لأيه معايير عسكرية سـليمة، ففي شمال أفريقيا خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة عنـدما انسـحب الجيش الثامن البريطاني في حالـة فوضـى إلى العلمـين أمـام قـوات المحور بقيادة روميل إسـتطاع قـادة الجـيش أن يجمعـوا القـوات وأن يُحكموا السيطرة ويعيدوا التنظيم إلى الصفوف مرة أخـرى لتعـاود الهجوم على قوات روميل مرة أخرى وتحقق النصر، وهذه القـوات أيضًا عند انسحابها كان الانسحاب منظمًا وعلميًا، ولكن ما حدث في سيناء كان عكس ذلك، مما أثـار اعـتراض الجمسـي علـى خطـة الانسحاب هذه والتي لا تمـت بـأي صـلة للعلـم العسـكري الـذي درسه ولا تتصل بأي شكل من الأشكال بالخبرات والمهـارات الـتي

اكتسبها، ولكن قرار الانسحاب كان قد صدر من القائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر ولا بد أن ينفذ، وعندما كان الجمسي في مركز القيادة المتقدم بالإسماعيلية بعد انسحابه من سيناء كان يتابع من خلال الأخبار بإذاعة القاهرة ما يحدث بمصر، وكان يتابع التطورات التي حدثت من تنحي الرئيس جمال عبدالناصر وقيام الشعب المصري يومي ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ رافضًا هذا التنحي، وكان الجمسي مع الشعب المصري في رفض الهزيمة والتمسك بقيادة جمال عبد الناصر الذي وصف الجمسي بأنه «الرجل الدرع» نسبةً لتخصصه في سلاح المدرعات ولكفاءته العسكرية.

بدأ الجمسي يجمع القوات غرب القناة بعد انسحابها ويعمل على تماسكها وترابطها حتى تقف بصمود وقوة أمام القوات الإسرائيلية التي تقف على الضفة الشرقية للقناة وكان يراها والدموع في عينيه وفي عيون كل القوات المصرية.

بعد ذلك عاد الجمسي إلى القاهرة ليكون قائدًا بهيئة عمليات القوات المسلحة، بعدها عاد إلى منزله ليأخذ قسطًا من الراحة بعد

أيام المعاناة، وعندما واجه أفراد أسرته والدموع في عينيه لاحظ على وجوهم كثيرًا من التساؤلات عما حدث وكيف حدث؟ ولماذا حدث؟ كما كان يشعر بالدهشة تعقد ألسنتهم والصدمة شديدة عليهم، وعندئذ قرر الاستقالة وترك الخدمة بعد هذه الكارثة، وعندما صرح لأسرته بذلك رفضوا بكل شدة وشددوا على أهمية مواصلته للعمل بالقوات المسلحة حتى يتحقق النصر لمصر، أجهشت ابنته الصغرى بالبكاء وأخذت تردد: لا لابد أن تستمر. ولكنه لصدمته عند عودته إلى العمل قدم استقالته من الخدمة بالقوات المسلحة وطبقًا لنظام الخدمة العسكرية كان من المحتم أن يستمر في العمل حتى يتم التصديق على قبول الاستقالة.

كان عام ١٩٦٧ بالنسبة للجمسي عام الحزن على مستوى مصر والأمة العربية كلها وأيضًا على المستوى الشخصي، فقد توفي والده في قرية البتانون محافظة المنوفية في أواخر يونيو ٦٧ وذهب إلى قريته مرتديا الملابس العسكرية لتشييع جنازة والده.

* * *

كانت علاقة وزير الحربية أحمد إسماعيل بالجمسي علاقة قوية

تقوم على التفاهم والمحبة والمودة وذلك منذ أن تقابلا وتعارفا، وكان اللواء أحمد إسماعيل حينئذ قد تم إبعاده عن القوات المسلحة لأسباب غير مفهومة، فلم يكن له يد فيما حدث في ١٩٦٧ ولكن رُدَّ اعتباره مرة أخرى عند تعيين محمد فوزي وزيرًا للحربية وتم تعيينه قائدًا للمنطقة العسكرية الشرقية «جبهة قناة السويس»، وعندئذ لم يجد أفضل من المشير الجمسي ليعمل معه وطلب منه أن يقبل العمل معه في القناة كرئيس أركان جبهة القناة ليعملا معا بنفس روح التعاون المستمرة بينهما دائما، لكن المشير الجمسي اعتذر موضحًا له أنه قد قدم استقالته من الخدمة وفي انتظار الرد من وزير الحربية محمد فوزي على هذه الاستقالة. بعد ذلك صدر قرار وزير الحربية بتعيينه رئيسًا لأركان جبهة قناة السويس، وكان لابد من طاعة الأمر العسكري بذلك وغادر القاهرة متوجهًا إلى منطقة القناة وهو يردِّد بداخله أن الجيش المصري لم يحارب بل أُخذ على غرة، وعندما يحل موعد المواجهة الحقيقية سينتصر الجيش المصري لأنهم خير جنود الأرض. وإذا كسبت إسرائيل جولة فإنها ليست آخر الجولات بل هناك جولات أخرى قادمة سنلقن فيها العدو درسًا لن ينساه ونلحق به الهزيمة المنكرة.

وعندما وصل إلى قيادة الجبهة وجد اللواء أحمد إسماعيل جالسًا وحيدًا على كرسي ميداني من الخشب وأمامه مجموعة من الخرائط على منضدة خشبية داخل كشك خشبي صغير تحت مجموعة من الأشجار بينما ضباط هيئة القيادة موزعون في الخنادق المخصصة للعمل في أماكن متباعدة. وعندما تلاقت أعينهما أخذا بعضهما بالأحضان وفاضت المشاعر، جلسا يتحدثان عن الموقف العسكري في الجبهة وقد عقدا العزم على ضرورة العمل سويًا حتى يتحقق النصر.

وبعد عدة شهور من وصول الجمسي لجبهة القناة جاءه الرد على طلب استقالته التي كان قد تقدم بها بالرفض التام والتمسك به كقائد عسكري يملك القدرة والخبرة والذكاء العسكري.

الفصل الخامس

الجمسي وحرب الاستنزاف

حين تقلَّدَ الجمسي رئاسة أركان جبهة القناة، كان الصراع بين مصر وإسرائيل قد أخذ مراحل عدة وصولاً إلى مرحلة حرب الاستنزاف؛ فكانت أولاً مرحلة الصمود والتي بدأت بعد النكسة مباشرة من يونيو ١٩٦٧ واستمرت حتى أغسطس ١٩٦٨، وفيها تمت خطة الدفاع عن الأرض، وثانيًا مرحلة الدفاع النشط واستمرت من سبتمبر ١٩٦٨ حتى فبراير ١٩٦٩ وكان هدفها تنشيط الجبهة بضرب العدو والاشتباك معه وتكبيده خسائر في الأفراد والمعدات وتعطيله عن بناء تحصيناته، وثالثًا مرحلة حرب الاستنزاف والتي استمرت من مارس ١٩٦٩ حتى أغسطس ١٩٧٠، ثم بدأت بعد ذلك مرحلة الإعداد للحرب واستمرت من أغسطس ١٩٧٠ حتى أكتوبر ١٩٧٣، وقد شهد المشير الجمسي وخطَّط لكل هذه المراحل وأدارها.

كان الهدف من حرب الاستنزاف هو تكبيد العدو أكبر الخسائر البشرية والمادية والعسكرية حتى لا يهنأ بالنصر المزعوم الذي حققه وحتى يشهد بأن هذه الأرض العربية مقبرة لـه ولكـل الغـزاة. وفي الوقت نفسه رفع الروح المعنوية لجنودنا لكي يثبتوا للعالم أجمع أنهم خير جند الأرض؛ فإنهم لم يحاربوا العدو حربًا حقيقية في ١٩٦٧، ولم يواجهوا العدو الجبان وجهًا لوجه، ولكـنهم أُخـذوا علـى غـرّة بالضربة الجوية الإسرائيلية الغادرة.

وكان الهدف أيضًا من حرب الاستنزاف عدم إعطاء الفرصة للعدو لكي يبني تحصيناته شرق قناة السويس وتثبيت قدمه على الأرض، وأيضًا لكي نثبت له وللعالم أجمع أن مصر لن تفرط في شبر واحد من الأرض العربية المحتلة وأن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة. وكانت أولى معارك حرب الاستنزاف هي معركة رأس العش وذلك في الأول من يوليو ١٩٦٧ جنوب مدينة بور فؤاد، وقد تكبد فيها العدو خسائر كثيرة في المعدات والأفراد، ولم يستطع العدو الاقتراب من هذه المنطقة مرة أخرى، وظلت مدينة بور فؤاد تحت السيادة المصرية لم تدنسها أقدام العدو حتى نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وفي ١٤ يوليو ١٩٦٧ قامت قواتنا الجوية بطلعات مفاجئة على مواقع العدو في سيناء ودارت معركة جوية بين طائراتنا وطائرات العدو هزمت فيها طائرات العدو وتم إسقاط طائرتين له.

وفي ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧ قامت المدفعية المصرية بضرب مواقع العدو، وتم تدمير تسع دبابات له شرق القناة وكان الجنود المصريون في فرحه عارمة وهم يشاهدون النيران تشتعل فيها.

وفي ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تم إغراق المدمرة البحرية إيلات فكانت خسارة فادحه للقوات البحرية الإسرائيلية خاصة وأن هذه المدمرة تشكل ثلث هذه القوات، وكان إغراقها شمال شرق مدينة بورسعيد داخل المياه الإقليمية المصرية بحوالي ميل بحري.

جُنَّ جنون العدو نتيجة لهذه العمليات المصرية البطولية، فقصف مدرسة بحر البقر الابتدائية بمحافظة الشرقية يوم ٨ أبريل ١٩٧٠، وكانت نتيجة هذا العدوان الهمجي غير الإنساني أن استشهد ٣٠ طفلا وأصيب ٤١ آخرون أعمارهم بين السادسة والثانية عشرة اختلطت دماؤهم بكتبهم، وتناثرت عظامهم على كراساتهم، فقد فَقَدَ العدوُّ عقلَه، كما أن هذه الممارسات اللاإنسانية

هي طبيعة متأصلة في العدو الإسرائيلي، ولم يقف العدو عند هذا الحد، بل قصف مصنعًا للعمال في أبي زعبل استشهد على إثر هذا القصف عشرات العمال.

ورغم هذا لم تتهاون قواتنا المسلحة في تكبيد العدو المزيد من الخسائر وفي إلحاق المزيد من الهزائم به، فقد خاضت معركة شدوان يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ بنجاح -وهي جزيرة في البحر الأحمر أمام ميناء الغردقة- وتكبد العدو خسائر في الأرواح والمعدات.

وأثناء حرب الاستنزاف وفي يوم ٩ مارس ١٩٦٩ استشهد الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان أثناء تفقده جبهة القتال، وضرب المثل في البطولة والتفاني والعطاء، وقد ودَّعته مصر كلها وكان في مقدمة المودعين الرئيس جمال عبد الناصر.

وتخليدًا لذكرى استشهاده أصبح يوم ٩ مارس من كل عام يوما للشهيد، وبعد حرب ١٩٧٣ كان هناك اقتراحا بأن يتم تغيير هذا اليوم ليصبح اليوم الذي استشهد فيه أكبر عدد من الجنود في هذه الحرب، وقد رفض الجمسي وأصر أن يبقى اليوم كما هو تخليدا لذكرى الشهيد عبد المنعم رياض.

وقد تكبد العدو خسائر كبيرة في حرب الاستنزاف بلغت ٢٧ طائرة تم إسقاطها، وكما تم تدمير ٧٢ دبابة و ١١٩ مجنزره و ٨١ مدفع هاون، كما قتل ٨٢٧ إسرائيلي وتم جرح وأسر ٣١٤١، هذا ما نشرته المجلة العسكرية للجيش الإسرائيلي وهذه الأرقام بطبيعة الحال أقل كثيرًا من الأرقام الحقيقية.

وفي المجال الاقتصادي تكبد العدو خسائر مالية باهظة نتيجةً رفعه الدائم لحالة الطوارئ ونتيجةً لتدمير الكثير من معداته العسكرية.

كما ارتفعت الروح المعنوية لجنودنا وعادت ثقتهم بأنفسهم وأصبحوا أكثر عزمًا وإصرارًا وتصميمًا على تحرير الأرض وزادت كفاءتهم القتالية.

وقد شارك الجمسي في هذه الحرب، وكان من ضمن العقول البارزة في التخطيط لها وتنفيذها بجهده وعرقه وخبرته العسكرية وموقعه القيادي في جبهة القناة.

ولما رأى الجمسي أن الوضع العسكري والسياسي لمصر في نهاية حرب الاستنزاف كان أفضل من وضعنا في بدايتها، وقد رأى أيضًا

أن توقف هذه الحرب في ٨ أغسطس ١٩٧٠ نتيجة لقبول مصر لمبادرة روجرز حتى تعطي لنفسها الفرصة لبناء حائط الصواريخ على الضفة الغربية للقناة وفي العمق المصري - ولم يكن يعني توقف عجلة الحرب ولكنه بداية مرحلة جديدة استعدادا لحرب أكتوبر ١٩٧٣.

* * *

الفصل السادس

الجمسي

والسنوات الحاسمة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

قال الجنرال أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلي قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ إنه إذا خاطر المصريون بالإقدام على عبور قناة السويس فستكون القناة مقبرة لهم.

فقد ركزت إسرائيل جهودها ضد مصر شرق قناة السويس، فقامت ببناء خط بارليف على طول القناة بتحصيناته القوية وأقامت ساترا رمليًا يعرقل عمل القوات المصرية إذا حاولت العبور، بل ولغمت قناة السويس بأنابيب النابالم بحيث أن أية محاولة للعبور ستتحول مياه القناة في ثوانٍ إلى نار حارقه، وأقامت المطارات في سيناء، ووضعت بها القوات الكافية المدربة لمواجهة أي هجوم مصري واعتمدت بشكل أساسي على المدرعات والدبابات.

وقد قال القادة الإسرائيليون الكثير عن هذه الاستعدادات والتحصينات شرق قناة السويس وخاصة عن خط بارليف، فأكدوا

أن المصريين لن يمروا عبر خط بارليف، ولو فكروا في ذلك الأمر فإن مصيرهم سيكون كمصير جيش فرعون، وأكدوا أن مصر يلزمها قنبلة نووية لتحطيم وتدمير خط بارليف الذي يصل طوله إلى ١٧٠ كيلو مترا وارتفاعه إلى ٢٢ مترا وتحميه تحصينات وخرسانة ومدفعية وأنابيب نابالم تشتعل لحظة بدء المعركة. وزاد الإسرائيليون في غطرستهم وجبروتهم حينما أكدوا أن خط بارليف جعل سيناء إسرائيلية إلى الأبد.

في هذه الفترة أيضًا سادت حالة اللاسلم واللاحرب في المنطقة بعد أن قوّى الوفاق بين القوتين الأعظم، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وأصبحت أمريكا تعطي لإسرائيل المال والسلاح بلا حدود، وأصبح الاتحاد السوفيتي يزود مصر بالسلاح بحدود وبأنواع معينة من الأسلحة دون أنواع أخرى متطورة وبكميات محدودة تتأخر في مواعيد تسليمها.

في ظل هذه الأوضاع سادت حالة من الضجر والترقب والانتظار لجنودنا على الجبهة، فقد طالت ساعة محو نكسة ١٩٦٧ والانتقام من العدو وعبور القناة وتحرير الأرض.

وفي الجبهة الداخلية ساد المصريين حالة من اليأس والإحباط وفقد الكثيرون الأملَ في أن مصر ستخوض حربا ضد إسرائيل.

ثم جاءت الطامة الكبرى بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وكانت وفاته نتيجة للمجهود الشاق الذي بذله أثناء مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالقاهرة للصلح بين الفلسطينيين والأردنيين الذين قامت بينهم مذابح في عمان حينئذ. وقد تأثر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لما وصل إليه العرب من تناحر فيما بينهم بينما العدو على الأبواب، وكان هذا شديد الوطأة على قلبه فتوقف.

لقد بكى الجمسي في هذا اليوم وحزن حزنًا شديدًا، فقد كان الرئيس جمال عبد الناصر يعرفه شخصيًّا ويقدر كفاءته العسكرية، وكان يقول عليه دائما: «الجمسي – الرجل الدرع» نسبة لكفاءته في سلاح المدرعات وخبرته العسكرية المتميزة.

وأحست مصر كلها بل والأمة العربية بأنها قد أصبحت يتيمة فقد مات الأب والحارس والمدافع الحريص على مستقبل مصر والوطن العربي.

لكن شعب مصر تذكر كلمات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر: «إذا مات جمال عبد الناصر فكلكم جمال عبد الناصر». ويدأ ينفض غبار الحزن وينظر إلى المستقبل ويفيق للعدو الإسرائيلي الذي يتربص به.

واستمر الحال على ما هو عليه: حالة اللاسلم واللاحرب ونشبت حرب الهند وباكستان في عام ١٩٧١ لتزيد الأمور تعقيدًا ولتصرف الاهتمام العالمي بعض الشيء عن منطقة الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي.

في ظل هذه الأوضاع العصيبة وفي أثناء هذه المحن كان لابد من اختيار رجال بمعنى الكلمة يتحملون المسئولية ويكونون أكثر قوة واستعدادًا لمواجهة الصعاب والعمل على تزليلها والقضاء عليها، ولا بد أن يكون هؤلاء الرجال الأكثر خبرة ودراية وكفاءة ومقدرة وعلمًا فكان اختيار الرجل الدرع كما قال عنه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هذا الرجل هو الجمسي، وكان الاختيار في الأسبوع الأول من يناير عام ١٩٧٢، وصدر قرار تعيينه في منصب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة.

وفي نفس العام الذي أصبح فيه الجمسي رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة صدر قرار الرئيس الراحل أنور السادات «الحرب بما لدينا من أسلحة» وهذا لإسراع الخطى نحو شن الحرب.

كان هذا القرار يحتاج من الجمسي لتنفيذه الكثير من الترتيب والهدوء والذكاء العسكري، حتى يتم النصر على العدو في ظل تفوقه العسكري والتحصينات القوية التي وضعها ليمنع مصر من عبور القناة وتحقيق النصر، وفي الوقت الذي ضمنت فيه الولايات المتحدة لإسرائيل أن تكون متفوقة عسكريا ليس فقط على دول المواجهة معها مجتمعةً بل على كل الدول العربية، هذا في الوقت الذي كان الاتحاد السوفيتي يعطي لنا السلاح بكميات محدودة وبحساب.

وكان لا بد لتحقيق النصر على العدو أن يتم التنسيق العسكري بين الجبهتين المصرية والسورية والتعاون وتبادل المعلومات والاستفادة من آراء كل طرف، وأن يتم ذلك في سرية تامة، وقد كان المسئول عن كل ذلك هو الجمسي منذ عام ١٩٧٠ عندما كان الفريق أول محمد فوزي وزيرا للحربية، وظلت هذه المسئولية ملقاة

على عاتقه حتى بعد تعيينه رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة في عام ١٩٧٢، وتعددت زياراته للقوات السورية واجتماعاته بالقادة العسكريين السوريين حتى يتعرف عن قرب بالقادة واستعداد القوات وقدرتها على القتال، وكان كل هذا خطوة رئيسية في الطريق إلى نصر أكتوبر ١٩٧٣.

وقد سعد الجمسي سعادةً بالغةً لسماعه نبأ تعيين اللواء أحمد إسماعيل وزيرا للحربية وترقيته لرتبة فريق أول في ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢؛ فهما أكثر اثنين على قدر من المودة والتفاهم والتعاون المشترك، وقد صدقت نبوءة الجمسي عندما سأله اللواء أحمد إسماعيل في بداية هذا العام ١٩٧٢ عن موعد الحرب -وكان وزير الحربية حينئذ الفريق أول محمد أحمد صادق- فكان ردّ الجمسي عليه: «عندما تُعيَّن وزيرا للحربية سنحارب». وصدقت توقعاته وتعين وزيرا للحربية، فكان في كل ذلك خطوة في الإسراع نحو حرب أكتوبر وتحقيق النصر.

وبدأ الرئيس الراحل محمد أنور السادات يستعين بالقادة العسكريين الذين يتمتعون بكفاءة عسكرية ودراية بفنون القتال

وخبرة طويلة وشجاعة على اتخاذ القرار لكي يصدر قرار الحرب ويحرر الأرض، وكان هؤلاء القادة:

أحمد إسماعيل وزيرًا للحربية.

وسعد الدين الشاذلي رئيسًا للأركان.

ومحمد عبد الغني الجمسي رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة.

ومحمد حسنى مبارك قائدًا للقوات الجوية.

وفؤاد ذكرى قائدًا للقوات البحرية.

ومحمد على فهمي قائدًا لقوات الدفاع الجوي.

واستمر العمل على قدم وساق من تدريبٍ شاقٍّ وعمل ليل ونهار وتزويد الجيش بأسلحة جديدة ومتطورة انتظاراً لساعة الحسم.

وقد كان عمل الجمسي كرئيس هيئة عمليات القوات المسلحة يستنفذ كل وقته وجهده، ولهذا طلب من وزير الحربية تعيين أحد القادة للتنسيق مع الجبهة السورية في مرحلة تالية بعد أن وضع الأسس الأولية لهذا التنسيق منذ عام ١٩٧٠، ووافقه وزير الحربية على طلبه، وتم تعيين اللواء محي الدين نوفل للقيام بالتنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية، وبدأ المشير الجمسي يتفرغ تفرغًا كاملاً لوضع الخطة الأخيرة أو اللمسات الأخيرة للإعداد للحرب وتحقيق النصر.

الفصل السابع

الخطة الأخيرة لحرب أكتوبر ١٩٧٣
أو «كشكول الجمسي»

قال الرئيس الراحل محمد أنور السادات في كتابه «البحث عن الذات»: في أبريل ١٩٧٣: «جاء الرئيس حافظ الأسد إلى مصر في زيارة سرية، وكان الفريق الجمسي وقتها مدير العمليات بالقوات المسلحة فأحضر لنا المذكرة التي دوَّن فيها المواعيد المناسبة للعمليات الحربية على مدار السنة من وجهة نظر العلوم العسكرية، وقد كانت مكتوبة بخط يد الجمسي لأنها سرية وهي ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى في مايو ١٩٧٣، والثانية في أغسطس وسبتمبر ١٩٧٣، والثالثة في أكتوبر ١٩٧٣، وكانت أنسب هذه المجموعات مجموعة أكتوبر، خاصةً أن الجبهة السورية ابتداء من نوفمبر حتى الربيع غير جاهزة للعمليات نظرًا للظروف الطبيعية هناك، في هذا الاجتماع كنت أنا وحافظ الأسد وحدنا في برج العرب بالصحراء الغربية غرب الإسكندرية. فقلت له: لقد قررت أن أدخل المعركة هذا العام وأعطيت تعليماتي للفريق أول أحمد إسماعيل فما رأيك؟

قال لي: أنا معك وداخل وبنجهز نفسنا. اتفقت مع حافظ الأسد ألاَّ نبدأ المعركة إلا بعد تكوين مجلس أعلى مشترك للقوات المسلحة المصرية السورية. كوَّنا هذا المجلس المشترك واجتمع فعلاً في أغسطس ١٩٧٣ في الإسكندرية ليضع اللمسات الأخيرة للمعركة».

ويتضح مما سبق أن الرئيس السادات لم يتخذ قرار الحرب إلا بعد أن قدَّم الجمسي وثيقته العسكرية التي أطلق عليها «كشكول الجمسي» وإلا بعد تكوين المجلس الأعلى المشترك للقوات المصرية السورية الذي وضع لبناته الأولى الجمسي عندما استمر منذ عام ١٩٧٠ حتى نهاية عام ١٩٧٢ منسقًا للجبهتين المصرية والسورية.

وقد تضمنت وثيقة الجمسي العسكرية أو كما أطلق عليها «كشكول الجمسي» والتي كتبها بخط يده وبعناية فائقة في صفحات من كراسة ابنته المدرسية حتى يحافظ على سريتها وحتى لا تقع في يد أحد، تضمنت هذه الوثيقة عدة نقاط تدل على العبقرية العسكرية المصرية وعلى الذكاء العسكري الذي يتمتع به المشير الجمسي وزملاؤه القادة في هيئة عمليات القوات المسلحة. وهذه النقاط هي:-

١- اختيار يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يوماً لبداية الهجوم على العدو حيث أنه يحتفل في هذا اليوم بعيد الغفران اليهودي وتعطل فيه الحياة بكاملها داخل إسرائيل بما فيها وسائل الإعلام والإذاعة، وهذا يشل حركة العدو في استدعاء قوات الاحتياط ويعطي فرصة أكبر لقواتنا المسلحة في تنفيذ خطة العبور وتحقيق النصر .

٢- إن الضربة الجوية الأولى التي يقودها اللواء محمد حسني مبارك قائد القوات الجوية لابد أن تبدأ بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً ولا تتعدى الساعة الثانية بعد الظهر حيث تكون أشعة الشمس في مواجهة العدو .

٣- إن الظلام سيحلّ بعد الضربة الجوية وتدمير مواقع العدو شرقي قناة السويس بعد ما لا يزيد عن خمس ساعات وهي فترة زمنية مناسبة لإقامة الكباري وعبور الأسلحة والجنود إلى شرق القناة دون رد فعل من العدو لصعوبة قيامه بالهجمات على قواتنا ليلاً .

٤- مع أول ضوء شمس نهار ٧ أكتوبر ١٩٧٣ تكون قواتنا المسلحة والتي عبرت جاهزة لصد هجمات العدو وذلك بعد مضي ما يقرب من العشرين ساعة على تمركزها في أرضنا شرق القناة .

٥- اختيار أفضل الشهور وكان شهر أكتوبر هو أفضلها لاقتحام قناة السويس على ضوء حالة المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه وذلك لتحديد تأثير المياه على وسائل العبور بالقوارب وإنشاء وتشغيل المعديات والكباري واختيار أفضل الأوقات لتحقيق ذلك.

٦- تحديد طول الليل يومياً واختيار اليوم الذي يكون ليله طويلاً ومقمراً في بدايته حتى يمكن إنشاء وتركيب الكباري ومظلماً في نهايته حتى يمكن للقوات العبور.

٧- دراسة حالة الأرصاد الجوية لمعرفة أنسب وقت للضربة الجوية وحالة البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط لاختيار أنسب وقت لعمل القوات البحرية .

٨- اختيار شهر أكتوبر للهجوم حيث إن الوضع الداخلي الإسرائيلي يكون مشغولا بالانتخابات البرلمانية «الكنيست» وبانتخابات الاتحاد العام للعمال «الهستدروت».

٩- إن الهجوم على العدو من الجبهة السورية لا يتأخر بأي حال من الأحوال عن شهر أكتوبر حيث تبدأ الثلوج تتساقط ابتداء من شهر نوفمبر ويبدأ تغيير المناخ إلى الأسوأ.

١٠ - خلال شهر أكتوبر ١٩٧٣ يحتفل المسلمون بشهر رمضان المبارك بما له من تأثير روحي ومعنوي إيجابي على جنودنا ويشكل دفعه قوية للجانب الإيماني الذي له دور عظيم في تحقيق النصر في الوقت الذي يعتقد فيه العدو بأننا لا نحارب في شهر رمضان حيث العبادة والصوم، وهو اعتقاد خاطئ، فقد انتصر المسلمون في موقعة بدر على الكفار وهم صائمون في شهر رمضان كما حقق المسلمون معظم انتصاراتهم على أعدائهم في هذا الشهر الكريم.

قام حينئذ اللواء الجمسي بتسليم الوثيقة العسكرية التي تضمنتها النقاط السابقة والتي أطلق عليها كشكول الجمسي مكتوبة بخط يده على كراسة ابنته المدرسية لضمان سريتها للفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية الذي عرضها بدوره على الرئيس الراحل محمد أنور السادات وكان هذا في أول أبريل ١٩٧٣ أي قبل الحرب بخمسة شهور فقط، وقد أعجب بها السادات إعجابًا شديدًا وعلى ضوئها اتفق مع الرئيس السوري حافظ الأسد على تحديد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بدايةً للهجوم المشترك على العدو الإسرائيلي لاسترداد الأرض وعودة الحق العربي، وقد قال الرئيس الراحل أنور السادات عن هذه الوثيقة في معرض حديثه عن حرب أكتوبر بعد

العبور وتحقيق النصر «لقد كان تحديد يوم الهجوم عملاً علميًّا على مستوى رفيع. إن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير وسوف يدخل التاريخ العلمي للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين».

الفصل الثامن

الذكاء العربي يقهر الدهاء الإسرائيلي

ظلت إسرائيل منذ إنشائها وهي تحاول تحقيق حلم الصهيونية الأكبر وهو تكوين أو إنشاء دولة تمتد من النيل إلى الفرات.والمتتبع لتصريحات قادتها وحاخاماتها يكتشف أنهم يعتبرون أن هذا الحلم والعمل على تحقيقه من ثوابت السياسة الصهيونية، وأن تحقيق هذا الهدف من أساسيات وجود إسرائيل واستمرارها، وكل الحروب التي بدأتها إسرائيل وهاجمت فيها العرب كان الهدف الأول منها أن يقرِّبها ولو تدريجيا من تحقيق حلم دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ابتداء من حرب ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٦٧.

ولأن إسرائيل تعودت دائمًا على أنها هي التي تهاجم وهي التي تنتصر ومن ثم تضم مزيدًا من الأرض العربية وتتوسع على حساب الحق العربي، فقد قررت إسرائيل أن تهاجم دول الطوق العربي مجتمعةً مصر وسوريا ولبنان والأردن في ٨ أكتوبر ١٩٧٣ لتحقيق خطة إسرائيلية سمَّاها موشي ديان وزير حرب العدو حينئذ

بالحزام الأسود؛ لكي يقوم بعمل حزام أمني جديد حول إسرائيل يحافظ على أمنها ويمهد لها الطريق لضم مزيد من الأرض العربية حاضرا ومستقبلاً. وكانت هذه الخطة تهدف إلى احتلال جنوب لبنان ومزيد من الأرض السورية وزيادة التمركز في سيناء حتى تكون أرضًا لتجارب المفاعلات النووية والتوسع في الضفة الغربية والأردن.

وقد حاولت إسرائيل بكل الطرق الدبلوماسية عن طريق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعد أن شعرت بالتحرك العسكري غير العادي على الجبهتين المصرية والسورية أن تقنع العرب بأن ليس في نيتها الهجوم وبداية الحرب وأن على العرب أن يلتزموا بالهدوء وعدم التحرك العسكري.

في ذلك الوقت كانت كل من مصر وسوريا قد عقدتا العزم على تنفيذ الخطة الهجومية "بدر" في ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وقد سبق ذلك القيام بعدد من الأعمال لخداع العدو وإيهامه بأن العرب لن يبدءوا الحرب، وكان من هذه الأعمال:-

١- القيام بمناورات عسكرية عادية.

٢- الإعلان في الصحف عن عمرة شهر رمضان لضباط القوات المسلحة.

٣- الإعلان عن زيارات دبلوماسية وعسكرية بين مصر ودول العالم الخارجي قبل أو بعد هذا التاريخ ٦ أكتوبر.

٤- إظهار الجنود المصريين وهم في حالة من الاسترخاء العسكري على الجبهة غرب قناة السويس.

٥- فتح باب الأجازات للضباط وللجنود.

كل هذا كان يحدث قبل وبعد أن اجتمع الرئيس السادات بالقادة العسكريين في الأول من أكتوبر ١٩٧٣ وقد وضعوا أيديهم جميعًا على القرآن الكريم وأقسموا على أن يبدأ الهجوم العسكري في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لتحرير الأرض العربية من دنس الصهاينة.

الفصل التاسع

الله أكبر ... وتحقق العبور

استمر الجمسي وهو رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة برتبة لواء يواصل الليل بالنهار في إشرافه على مناورات التدريب التي كانت خدعة عسكرية تحمل في باطنها التمهيد للقيام بالعملية الهجومية وعبور قناة السويس، وفي يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ استبدل الجمسي خرائطَ ووثائقَ التدريب بخرائط ووثائق الحرب وأغلق مركز عمليات القوات المسلحة بعد وصول الرئيس السادات ووزير الحربية الفريق أول أحمد إسماعيل وقادة القوات المسلحة والجميع ينظر لعقارب الساعة ويتمنى أن تمر بسرعة حتى تأتي لحظة اتخاذ القرار للعبور والأخذ بالثأر الذي طال انتظاره، فقد استمر الجندي المصري أكثر من ست سنوات ينتظر هذه اللحظة وهو يعيش معاناة الاستعداد والتسليح والتدريب وحالة اللاحرب واللاسلم وهو يرى العدو يصول ويجول أمام بصره في الضفة الشرقية للقناة يدنس أرضه ويحتل ترابه.

وعندما اقتربت عقارب الساعة من الثانية وخمس دقائق ظُهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ انطلق الرجال للأخذ بالثأر وتطهير الأرض وهم يُكبِّرون ويهتفون: الله أكبر الله أكبر، وكانت بداية النصر بالضربة الجوية بقيادة اللواء طيار محمد حسنى مبارك والتي حققت أهدافها بنجاح مذهل وبأقل الخسائر مما هيأ المعركة للقوات المسلحة لكي تعبر إلى الضفة الشرقية للقناة وتدمر قوات العدو وتتقدم في سيناء عشرات الكيلو مترات، ورفع الجنود المصريون العَلَمَ المصري فوق أنقاض خط بارليف وحصون العدو المنيعة التي انهارت أمام ضربات جنود مصر البواسل.

وكان البيان العسكري الأول الذي تم إعلانه من الإذاعة والتليفزيون إلى الشعب المصري والعربي وكل شعوب العالم وكان نصه: «قام العدو في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم بمهاجمة قواتنا بمنطقتي الزعفرانة والسخنة بخليج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربي للخليج وتقوم قواتنا حاليًا بالتصدي للقوات المغيرة».. وكان لهذا البيان مغزاه السياسي وهو إعطاء انطباع لدى الرأي العام العالمي بأن العدو هو الذي بدأ بالعداون

ومهاجمة قواتنا، ومن ثم قامت مصر بالرد على هذا العدوان، وبالتالي نكسب تأييد معظم إن لم يكن كل القوى السياسية في العالم والوقوف بجانبنا في معركة التحرير.

وكان الشعب المصري يترقب الأحداث وينتظر النتائج واضعًا يده على قلبه خوفًا من تكرار ما حدث مِن قبل من نكسة وإحباط.

وتوالت البيانات العسكرية إلى أن صدر البيان الخامس – الذي كان جائزة للشعب المصري على صبره وقوة تحمله طوال ست سنوات – في الساعة الرابعة بعد الظهر وكان نصه: «نجحت قواتنا في اقتحام قناة السويس في قطاعات عديدة واستولت على نقط العدو القوية بها ورُفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة، كما قامت القوات المسلحة السورية باقتحام مواقع العدو في مواجهتها وحققت نجاحًا مماثلا في قطاعات مختلفة» وخرج الشعب المصري بكل طوائفه وفئاته فرحًا بهذا العبور العظيم وبأن رجال القوات المسلحة قد أخذوا بالثأر من العدو المتغطرس الذي اعتقد كذبًا بأن جيشه لا يقهر فتمَّ قهره وضربُه على يد رجال الجيش المصري الأبطال.

لقد ادخر الشعب المصري وجيشه البطل كلَّ شيء من أجل

إزالة آثار العدوان ومحو عار الهزيمة وتحريـر الأرض وتحقيـق النصـر وصبرَ وعانى وتألم وضحَّى ست سـنوات مـن أجـل أن يـأتي هـذا اليوم العظيم ٦ أكتـوبر ١٩٧٣ ليسـترد الأرض ويأخـذ بالثـأر مـن العدو الجبان الذي احتل الأرض وقتل الأطفال في مدرسة بحر البقر والعمال في مصنع أبي زعبـل والمـدنيين العـزل في مـدن القنـاة وفي المدن المصرية الأخرى فكان الانتقام من هذا العدو جباراً.

اهتزت الأرض من تحت أقدامـه، ووقعـت الـزلازل وخرجـت البراكين من الأرض لتدمر وتبتلع كـل بـني صـهيون الـذين دنسـوا الأرض واعتدوا على العِرض.

لقد حقق الشعب المصري ما أراد بهذا العبـور العظـيم، وجعـل قادة العدو وجنوده يصرخون كالفئران ويهربون كالأفاعي ويُقتلون كالحشرات أمام ضربات الجيش المصـري البطـل الـذي عـبر القنـاة وطهر الأرض.

* * *

الفصل العاشر

الجمسي وتطوير الهجوم

كان للجمسي نظره ثاقبة -وهو رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة- في ضرورة تطوير الهجوم المصري حتى الوصول إلى المضايق. فقد تم العبور وتحقق النصر وتمركزت القوات المصرية في سيناء بأعداد كبيرة وبمعدات حديثة ومتطورة .

ومن ثم كان من رأيه ألاَّ يتوقف الهجوم يوم ٩ أكتوبر وأن يستمر في التقدم وضرب العدو في عمق سيناء حتى لا يتم إعطاؤه فرصة من الوقت لكي يعيد حساباته ويضع خططه ويجمع قواته ومعداته ليقوم بهجوم مضاد. ولكن للأسف لم يتم الأخذ برأي الجمسي من جانب القائد الأعلى للقوات المسلحة والقائد العام، واستمر توقف الهجوم ثمانية أيام من يوم ٩ أكتوبر حتى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ مما أعطى للعدو المهزوم فرصة يستعيد أنفاسه فيها وينظم قواته ويجمع معداته ويقوم بهجوم مضاد أكثر حدة وشراسةً خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية تقف بجواره بكل طاقاتها

وقوتها منذ اليوم الأول لبدء المعركة، فقد تم عمل جسر جوي بين أمريكا وإسرائيل يحمل أحدث المعدات العسكرية ويمدها بالطائرات والدبابات والذخيرة وكل ما وصل إليه العلم في مجال تصنيع المعدات العسكرية، كما أن القمر الصناعي الأمريكي وطائرات الاستطلاع والتجسس الأمريكية كانت كلها تعمل لصالح إسرائيل.

وعند تطوير الهجوم في ١٤ أكتوبر ١٩٧٣، كان من رأي المشير الجمسي أن يبدأ تطوير الهجوم منذ يوم ٩ أكتوبر وإذا كان متعذرا فليكن يوم ١٣ أكتوبر كحد أقصى، لتخفيف الهجوم الإسرائيلي على الجبهة السورية، وحتى لا يعطي للعدو فرصة لكي ينظم قواته، وكان لتأخير الهجوم ليوم ١٤ أكتوبر أثر سلبي على الجبهة المصرية، فقد تم إعطاء الوقت الكافي لطائرات الاستطلاع والتجسس الأمريكية كي تحصل على ما تريده من صور وخرائط للمواقع العسكرية المصرية وتمد بها إسرائيل التي اكتشفت من هذه الخرائط أن هناك منطقة أصبحت شبه خالية من القوات بعد تطوير الهجوم والاستعانة بمعداتها وقواتها من غرب القناة إلى شرق القناة في سيناء، وهذه المنطقة هي «الدفرسوار»، واستطاعت قوات العدو أن تتسلل إلى غرب القناة في هذه المنطقة فيما عُرف «بالثغرة»، وقد

تم مجابهة القوات الإسرائيلية وتكبيدها خسائر فادحه في الأفراد والمعدات، وتم محاصرتها من جانب القوات المصرية، وكان من الممكن القضاء عليها في أيه لحظة فهي محاصرة من جانب القوات المصرية في غرب القناة ومن جانب القوات المصرية في شرق القناة التي رفض الجمسي أن يتم سحب أيّ منها إلى الغرب لمواجهة القوات الإسرائيلية فقد رأى الجمسي أن معنويات القوات المصرية شرق القناة عالية وأنها تواجه العدو بكل بسالة وتحافظ على معداتها وعتادها وأن سحب جندي واحد منها يعتبر ضربة لكل القوات. وقد تم الأخذ برأي الجمسي الذي لو تم الأخذ برأيه بتطوير الهجوم يوم ٩ أكتوبر لما استطاعت إسرائيل أن تتسلل بقوات هزيلة غرب القناة ولما استطاعت أن تقوم بهجوم مضاد.

وعندما أيقن الرئيس السادات أنه لا يحارب إسرائيل وحدها ولكنه بالفعل يحارب أمريكا بكل ما تملك من قوة وأن مصر لا تستطيع محاربة أمريكا قرر الموافقة على وقف إطلاق النار يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣، حيث اجتمع مجلس الأمن وأصدر قراره بوقف إطلاق النار في الساعة الخامسة وخمسين دقيقة صباح يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، وهو القرار رقم ٣٣٨، وقد تمت الموافقة عليه من جانب

مصر وإسرائيل وتم تطبيقه مساء نفس اليوم لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الصراع وهي مرحلة المفاوضات وبداية الخطوة الأولى فيما يُعرف بتحقيق السلام.

الفصل الحادي عشر

الجمسي
يرفض مصافحة الوفد الإسرائيلي

عاش الجمسي طوال حياته في صراع دائم مع العدو الإسرائيلي وخاض ضده حروبًا شرسة منذ إعلان ما يسمى دولة إسرائيل على حساب الحق العربي الفلسطيني. لقد كان قلبه متعلقًا بالجيش المصري في حرب ١٩٤٨ وهو يدرس بالاتحاد السوفيتي، وشارك في حرب ٥٦، كما شارك في حرب ١٩٦٧ كقائد عسكري متمرس يقود العمليات العسكرية ضد العدو، وتألم للجرائم الإسرائيلية ضد المدنيين العزل في مدن القناة في حرب ٥٦ و ٦٧ وقتل إسرائيل للأطفال في مدرسة بحر البقر وللعمال في مصنع أبي زعبل وللأسرى العزل في سيناء.

ولقد آمن المشير الجمسي بأن إسرائيل التي احتلت الأرض وهدمت المنازل وقطعت الزرع وقتلت الأطفال والنساء والشيوخ بعصاباتها المسلحة في دير ياسين وبقية المدن والقرى الفلسطينية قد

قامت على نظرية استخدام القوة ضد العرب، وبأن الأمن الإسرائيلي لا يتحقق إلا باستخدام القوة العسكرية وبإعلان الحروب المستمرة، وآمن بأن أي سلام مع إسرائيل هو سلام مؤقت وهدنة مؤقتة؛ لأن الصراع مع إسرائيل هو صراع وجود لا صراع حدود؛ فإسرائيل تؤمن بأن حدودها الشرعية هي من النيل حتى الفرات، ولا بد من استخدام كل أنواع القوة العسكرية أو المراوغات والحيل الدبلوماسية لتحقيق هذا الهدف، وآمن الجمسي بأن حرب ٦ أكتوبر ليست آخر الحروب ولن تكون آخر الحروب بين العرب وإسرائيل، وكان يتمنى أن يعطيه الله العمر المديد حتى يشارك في الحرب القادمة بعد حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

رجل بكل هذه المبادئ يتم تكليفه من قبل الرئيس السادات برئاسة وفد المفاوضات المصري الذي سيتفاوض مع الوفد الإسرائيلي لفض الاشتباك في الضفة الغربية للقناة والتي عقدت في الخيمة المقامة بالكيلو ١٠١ طريق القاهرة السويس.

وقد رفض المشير الجمسي هذا التكليف وكان يرى أن الأمور الفنية العسكرية يستطيع أن يقوم بها عسكريون من كلا الطرفين

عن طريق الأمم المتحدة بمشاركة قوات طوارئ دولية، كما أن القوات الإسرائيلية غرب القناة يمكن القضاء عليها في أيه لحظة وفي أي وقت؛ فهي قوات هزيلة ومحاصَرة بالقوات المصرية من الشرق والغرب، كما أنه كقائد عسكري كبير وذي تاريخ عسكري معروف وخاض حروبًا شرسة مع العدو الإسرائيلي لا يستطيع أن يجلس ولا يرضى لنفسه أن يجلس على مائدة مفاوضات واحدة مع العدو الإسرائيلي.

وكان إصرار الرئيس الراحل أنور السادات على أن يتولى الجمسي هذه المهمة لأنه هو الأقدر على القيام بها والصمود في وجه الصلف الإسرائيلي والمراوغات الإسرائيلية، وكان على الجمسي -وهو الرجل العسكري الذي تعلَّم أصول ومبادئ العسكرية الضبط والربط وإطاعة الأوامر العسكرية حتى لو كان غير مقتنع بها- خدمةً للصالح العام وخدمةً للوطن- أن يقبل بهذا التكليف من الرئيس السادات، وفي أول جوله من المفاوضات مع إسرائيل فيما قبل الخيمة المقامة على الكيلو ١٠١ طريق القاهرة السويس رفض الجمسي مصافحة رئيس الوفد الإسرائيلي المفاوض وأعضائه واكتفى فقط برد التحية العسكرية له وكان متصلبًا جدًا في

تفاوضه مع العدو ورفض تقديم أيه تنازلات تمس وضع القوات المصرية شرق القناة وغربها، وبعد أن أقيمت الخيمة وتعددت جولات التفاوض ظل الجمسي صلبًا قويًا متجهمًا في وجه الأعداء وكان متشددًا جدًا في رفضه سحب جندي مصري واحد من شرق القناة إلى غربها، وكان على يقين بأن إسرائيل ضعيفة؛ فأسراها وقتلاها في أرض المعركة بالآلاف، كما أن الرأي العام الإسرائيلي ثائر ومنقلب على الحكومة الإسرائيلية بسبب الهزيمة المنكرة التي مُنيت بها إسرائيل على يد الجندي المصري البطل، وانتهت هذه المفاوضات باتفاقية النقاط الست لفض الاشتباك وتبادل الأسرى والإمدادات وفصل القوات، وفي كل هذا ظل الجمسي متشددًا ورافضًا سحبَ جندي مصري واحد من شرق القناة إلى غربها ورفضه لأي خفض من القوات، حتى كانت زيارة هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي المشئومة لأول مرة إلى مصر واجتماعه بالرئيس السادات منفردًا واتفاقه معه على كل النقاط ومنها أن تنسحب القوات المصرية من شرق القناة ولا يبقى منها إلا سبعة آلاف جندي و٣٠ دبابة وقليل من المدافع وصواريخ الدفاع الجوي في مقابل أن تنسحب القوات الإسرائيلية الهزيلة إلى شرق القناة

وتبدأ مراحل التسوية السلمية. وعندما أبلغ هنري كيسنجر الجمسي بهذا رفض بشدة واعترض، وكان غير مصدق أن هذا الاتفاق قد تم مع الرئيس السادات، وعندما أيقن بتوقيع هذا الاتفاق ذرفت عيناه بالدموع لأول مرة في حياته حزنًا على تضييع نتائج نصر أكتوبر العظيم التي كان من الممكن استثمارها بشكل أفضل ، وخوفًا على وضع قواتنا شرق القناة أمام عدو غدار وخائن بطبعه لا يصون المعاهدات ولا يلتزم بها . وعندما علم الرئيس السادات برفض الجمسي وثورته على ما تم الاتفاق عليه بينه وبين كيسنجر استدعاه وهدأ من روعه وخفف من حزنه وأكد له أنه قائد عسكري عظيم ومخلص لهذا الوطن، وأنه - أي السادات - وقع هذا الاتفاق مع كيسنجر خدمةً للوطن ولصالح المسيرة السلمية التي بدأت بالفعل. وكان من رأي الجمسي أن يأخذ الرئيس مشورة العسكريين أولاً قبل توقيع أي اتفاق عسكري مع كيسنجر، وكان رأي السادات أن هذا الاتفاق كان لصالح مصر. لم يردّ الجمسي وكتم غيظه في قلبه وهو غير متفائل بالخطوات القادمة من مفاوضات مباشرة مع إسرائيل أملاً منّا في تحقيق سلام دائم لا تؤمن به ولا تقيم له أي اعتبار وتعمل كل جهدها للانقضاض عليه

في أيه فرصه تسنح لها وفي الوقت المناسب لها للقيام بعدوانها وتنفيذ غدرها فهي كالأفعى التي لا تهدأ إلا لكي تعاود الانقضاض مرة أخرى.

الفصل الثاني عشر

المشير الجمسي يودع الحياة العسكرية بعد طول عطاء

لقد أخلص المشير الجمسي لمصر إخلاصًا منقطع النظير، فدافع عن تراب مصر ضد الأعداء في حروبها الممتدة على مدار التاريخ. وكان خصمًا شرسًا للأعداء فلم يصافحهم ولم يبتسم في وجوههم ولم يجاملهم على حساب الحق العربي، وعندما ذهب الرئيس السادات لزيارة إسرائيل لم يذهب معه في عام ١٩٧٧. وعندما ذهب الرئيس السادات أيضًا إلى أمريكا لتوقيع اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام في سبتمبر ١٩٧٨ لم يذهب أيضًا معه لا لشيء إلا لأنه لا يطيق أن يرى الأعداء ولم يؤمن بأن السلام معهم سيستمر طويلاً، فكان على إيمان بأن حرب أكتوبر ليست آخر الحروب لأن إسرائيل لها أهدافها التوسعية على حساب الأرض العربية.

فكان المشير الجمسي شخصًا غير مريح للأعداء؛ لصلابته وقوته في التمسك بالحق العربي، كما كان شخصا غير مناسب في مرحلة

ما يسمى بالسلام لشدته وعدم مهادنته للأعداء، فكان لابد من الاستغناء عنه كآخر وزير حربية في ٥ أكتوبر ١٩٧٨، حيث تغير الاسم بعد ذلك إلى وزارة الدفاع، وتم الاستغناء عنه بعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام بأقل من شهرين، وأن يكون مستشاراً عسكريا لرئيس الجمهورية، ففضل أن ينسحب من الحياة العسكرية بشكل عام وقدّم استقالته في ١٩٧٨ ولكن لم تقبل ورُقِّي لرتبة مشير في عام ١٩٧٩، ولم تُقبل الاستقالة إلا في عام ١٩٨٠، وتفرغ بعد ذلك للحياة المدنية وترأس مجلس إدارة نادي هليوبوليس بمصر الجديدة، كما تفرغ للكتابة وزيارة الأهل والأقارب بقريته.

وفي ٧ يونيه عام ٢٠٠٣ صعدت روحه إلى السماء عن عمر يناهز٨٢ عاما وقد ودَّعته مصر كلها في جنازة مهيبة.

لقد كانت حياة المشير الجمسي حافلة بالعطاء؛ فقد أعطى مصر الكثير ولهذا أعطته مصر كل الحب والتقدير.

الفصل الثالث عشر

نصر أكتوبر والمشير الجمسي

من وجهة النظر الإسرائيلية

اعترف قادة إسرائيل بأن حرب أكتوبر زلزلت كيانهم وكادت تقضي عليه لولا التدخل العسكري الأمريكي المباشر بأحدث الأسلحة والتي استخدمت لأول مرة . كما اعترف هؤلاء القادة بعبقرية المشير الجمسي العسكرية وأنهم يخشونه ويخافونه أكثر من أي قائد عسكري عربي آخر، وفيما يلي نص هذه الاعترافات :-

– يقول **عيزرا وايزمان** وزير حرب العدو بعد نصر أكتوبر: قبل أيام قليلة من سفري إلى مصر طلبت وحصلت من شعبة الاستخبارات التابعة للجيش الأمريكي على الملف الشخصي للجنرال الجمسي، وكنت في شوق لمعرفة كل شيء عنه، وبعد اطلاعي على التقارير والوثائق أدركتُ أنه رجل مثقف وموهوب وعلمتُ أنه مصري يعتز بمصريته كثيراً.

- في يوم ٧/ ١٠/ ٧٣ قال **موشيه ديان** في كآبه ويأس : لقد استطاع المصريون تحييد سلاحنا الجوي وإنني آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الطائرات التي طلبناها.

وفي اليوم نفسه قال **البريجادير أوري دان** القائد العسكري الإسرائيلي: كان شعورنا في مقر القيادة شعوراً مصيرياً مخيفاً، لقد قام المصريون بالاستيلاء على جميع نقط خط بارليف، لقد كان شعورنا في تلك اللحظات أننا نزداد ضآلة بينما المصريون يزدادون ضخامة .

- **قال الجنرال أنتوني فاراهوكلي** أستاذ التكتيك في الجيش البريطاني: إن الطيارين المصريين أزالوا الدور الأسطوري للطيران الإسرائيلي في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبالتالي تضاءل دور المدرعات الإسرائيلية في تحقيق أي نجاح خلال معاركها التصادمية.

- **وقال الضابط باروخ شير** قائد بإحدى سرايا المدرعات: «نظرت حولي فشاهدت قذائف نارية مشتعلة ترقص في الجو وهي في طريقها إلى دباباتنا القريبة مني، لم أفهم بعد ماذا يحدث ولكني فهمتُ في وقت لاحق أن هذه صواريخ وأن المشاة المصريين

الواقفين أمامنا لا يقلّون خطورة عن الدبابة، كان هذا بالنسبة إليّ مفاجأة تامة، وطوال ذلك اليوم كنت أشاهد هذه القذائف النارية تتنزه في الصحراء وهي تنطلق من قلب الرمال، اشتعلت النار في دباباتي هي الأخرى، لم أكن أعرف أن هذا الصاروخ الغامض يولد موجة من حرارة تزيد عن ١٠٠٠درجة مئوية وأنه يدمر أجهزة الدبابة ويحرق كل ما بداخلها، ولم تكن الدبابات الأخرى في السرية بأوفر منّا حظًّا، فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية شاهدنا مشاعل محترقة كانت هذه المشاعل فيما مضى دبابات السرية، وخلال ربع ساعة بدأ رجال المدرعات الذين قُدر لهم النجاة بأنفسهم يسمعون صفير رجال الكوماندوز المصريين الذين بدأوا يمرون أمامنا متجهين نحو الشمال الشرقي فحاولنا أن نهجر المكان ولم نستطع أن نحمل معنا الكثير من أشيائنا لأن أيدينا كلنا كانت محترقة».

يقول موشي ديان وزير الحرب الإسرائيلي: بالرغم من ثقتنا بأنفسنا فإننا كنا نشعر بقلق من أعماقنا ولم يكن السبب راجعا إلى أننا لم نتعود القيام بحملة تكون المبادرة فيها في يد العدو، وإنما الموقف كله أيضًا لم يكن متمشياً مع طبيعتنا ولا مع التركيب

العضوي لجيشنا الذي يستند أساسًا إلى الاحتياطي وتعبئته بنظام؛ إذ ليس من السهل على الإطلاق التحول خلال أربع وعشرين ساعة من العمل في المكاتب وعلى الجرارات وأمام المخارط إلى ساحة القتال . وكان الهجوم المصري السوري في يوم كيبور مفاجأة لنا برغم أنه كان متوقعاً، كما يجب أن نضيف أن قوات العدو (العرب) قد شنت هجوماً بكفاءة أكبر بكثير مما كان مقدَّراً عند وضع خططنا».

ويقول اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلي في حرب ١٩٧٣: إن حرب أكتوبر هي أكبر حرب تختلف عن كل الحروب التي خضناها ضد العرب، لقد كانت المبادرة دائماً في أيدينا، وكان التحرك بالنسبة إلينا أمرًا سهلاً لأننا نحن كنا نهاجم، ولكن هم الذين هاجموا ومعني ذلك أن التوقيت لهم والهجوم لهم، أما المفاجأة فهي التي لنا، وأصبح علينا أن ندافع، وهذا أمر مرير كان يحز في نفوسنا.

وقالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل : إن حرب أكتوبر لم تكن انتصاراً للعرب بقدر ما كانت هزيمةً لنا؛ إذ سخرت من المخابرات الإسرائيلية وهزمتنا أمام أنفسنا، لقد تأكد لدى خبرائنا

أن المصريين لن يحاربوا، وأنهم إذا حاربوا فلن يكون في أكتوبر وإذا كان في أكتوبر فإنهم على أي حال لن يعبروا القناة، وإذا عبروا فلن يكون ذلك إلا على جثث مائة ألف مصري، ولن يستمر عبورهم أكثر من بضع ساعات بعدها تدخل القوات الإسرائيلية إلى قلب مصر وتصَفّي حسابها النهائي مع المصريين.

- **وتقول كذلك** أثناء حرب أكتوبر في مذاكراتها: لا شيء أقسَى على نفسي من كتابة ما حدث في أكتوبر؛ فلم يكن ذلك حدثاً عسكرياً رهيباً فقط، إنما كان مأساة عاشت وسوف تعيش معي حتى الموت، فلقد وجدت نفسي فجأةً أمام أعظم تهديد تعرضت له إسرائيل منذ إنشائها، ولم تكن الصدمة فقط في الطريقة الأساسية التي كانوا يحاربوننا بها، ولكن أيضا لأن عدداً من المعتقدات الأساسية التي آمنّا بها قد انهارت أمامنا، فقد آمنّا باستحالة وقوع حرب في شهر أكتوبر، وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً لكل تحركات المصريين والسوريين قبل نشوب الحرب، ثم هناك إيماننا المطلق بقدراتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس، إنني أستعيد هذه الأيام . إنه شيء لا يمكن وصفه .

يكفي أن أقول إنني لم أستطع البكاء، وكنت أمشي معظم الوقت

في مكتبي، وأحياناً أذهب إلى غرفة العمليات، وكانت هناك اجتماعات متواصلة وتليفونات من أمريكا وأخبار مروّعة من الجبهة وخسائرنا تمزق قلبي .

وفي قصيدة للكاتب والشاعر الإسرائيلي يهوناتان جيفن واصفاً المشير محمد عبد الغني الجمسي في محادثات فصل القوات في خيمة الأمم المتحدة المقامة بالكيلو ١٠١ طريق القاهرة السويس :

«وأنا أشفق على اليعازر».

«أشفق عليه عندما أرى عظام الجمسي سليمة

وإن لم أخطئ فهو الجمسي»

«أيضاً مرفوع الرأس وهو (الجمسي)

أيضاً يبدوا أحسن هنداماً

من ضابطنا اليعازر الذي يبدو منهكاً يبدو مطأطئ الرأس».

ويقول الجنرال عسّاف ياجوري قائد اللواء الإسرائيلي الذي تم أسره في ٨ أكتوبر ١٩٧٣ في مذكراته : منذ وصول الجنرال آدن وتسلمه قيادة القطاع الشمالي من جبهة قناة السويس وأنا أخوض مع قواتي معارك متصلة في محاولات مستمرة لإيقاف تقدم المصريين وضرب قواتهم التي عبرت القناة وطوقت بعضها حصون

خط بارليف . لم تهدأ هذه المعارك لحظة واحدة، وقد تركت بصماتها على قواتي، وقد فقدت خلالها الكثير من زملائي، وبسبب عنف هذه المعارك لم نجد وقتاً للحزن على هؤلاء الذين سقطوا قتلي . ويقول : لقد كان ضمن مهمتنا محاولة إنقاذ من بقي حياً في حصون خط بارليف التي انهارت تحت وطأه الهجوم المصري.

ويقول بعد تقدم قواته : حدث ما لم يكن في الحسبان إطلاقاً؛ لقد انقلبت الدنيا رأساً على عقب، إن المصريين قد أوقعونا في كمين محكَم ..كيف ضبطوا أعصابهم ونيرانهم طوال هذا الوقت ؟ لا أدري ! لقد انصبَّتْ مدافعهم علينا بنيران مذهلة الكثافة ومتناهية الدقة في التحكم كما لو كان هناك ضابط مدفعية مصري يقف فوق دبابتي لضبط وتوجيه نيران مدافعهم .

وقفز الجنود المشاة من حفرهم التي اختبأوا فيها واندفعوا نحو دباباتنا بصواريخهم القاتلة ...الدبابات تنفجر والجنود والضباط يقفزون منها ... يصرخون ...ويبحثون عن مكان يهربون فيه ورشاشات المصريين تسكت هذه الصرخات .

وعن وقوعه في الأسر يقول: «رفعت يدي إلى أعلى وأخذت

أصيح في وجوههم وأنا أرى الموت يتقدم نحوي، إنني جنرال لا تقتلوني، أريد مقابلة قائدكم».

وفوجئت بهم يتوقفون عن الضرب ... جندي واحد فقط استمر، اضطر قائده إلى أن يأمره بصوت حاد بعدم إطلاق النار .

ويواصل عساف ياجوري قائلاً : أُسرت بينهم مقيَّداً ولا أستطيع أن أقاوم البكاء ..هذا أشد الأيام كآبةً وأكثرها إحباطاً على الجبهة المصرية .

وعند مقابلته القائد المصري قال : تحدث إليَّ بصوته الهادئ وأكد لي أنهم يحترمون قرارات جنيف وأنني سأعامل في الأسر معاملة طيبة، وألمح إلى بعض ما جرى للأسرى المصريين في ١٩٦٧وقال القائد المصري: «ومع ذلك لن نعاملكم بالمثل .. وستلقون معاملة إنسانية».

- وتقول جولدا مائير في كتابها قصة حياتي: «إن وصول طائرات النقل الأمريكية الضخمة (س-٥) ناقلةً العتاد والأسلحة بصورة مستمرة أنقذ إسرائيل مما لم يكن تُحمد عقباه» .

- ويقول إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل: «لقد تعرضنا

لنقص في الوسائل التي تكفل استمرار القتال وكـان الجسـر الجـوي الذي أقامته الولايات المتحدة لنقل الأسـلحة إلى إسـرائيل أضـخم جسر من نوعه في التاريخ وأكبر حتى من عملية الإنقـاذ الـتي تمـت بالنسبة إلى برلين ... والمؤكد أنه بدون هذا الجسر لم يكن باستطاعتنا أن نستمر في القتال».

ويصـرخ **موشـيه ديـان** وزيـر الحـرب الإسـرائيلي في ٩ أكتـوبر ١٩٧٣ : «إن قواتنـــا تتآكــل، والأمــل الآن في أن يرســـل إلينـــا الأمريكيون إمدادات عاجلة من الأسلحة» .

ومن وجهة النظر الأمريكية :

يقول **الرئيس الأمريكي** أثناء حرب أكتـوبر **ريتشـارد نيكسـون:** «لو لم نمدّ الجسرَ الجوي إلى إسرائيل لمـا كـان في مقـدورها الصـمود أكثر من ٤٨ ساعة أخرى».

- وقال أيضاً في مقابلة مـع إسماعيـل فهمـي وزيـر خارجيـة مصر: «كرئيس للولايات المتحدة، وكأمريكي، وكريتشارد نكسـون، فإنني أحترم الذين يحاربون جيداً ويضحون بأنفسهم، فأنتم حـاربتم جيداً مثل الفيتناميين، ونحن نحترم هذا، وأرجو أن لا تسـيء فهمـي

إذ أن الفيتناميين شيوعيون، فأنا أعني فقط القتال والقتال الجيد .. الروح نفسها.. ويجب أن أعترف بصفاتي الثلاث بأنكم قمتم بكل هذا بصورة جيدة، وأنه نتيجة لهذا تغيرت كل الصورة، وقد أصبح موقف الولايات المتحدة وموقفي كرئيس مختلفين الآن».

وقال كيسنجر وزير خارجية أمريكا أثناء حرب أكتوبر:

«إن العسكريين الإسرائيليين يقدّرون تماماً كفاءة الجمسي، واعترفت إسرائيل بأنها تخشاه أكثر مما تخشى القادة العسكريين العرب الآخرين .

* * *

الفصل الرابع عشر

قادة نصر أكتوبر ١٩٧٣

حتى يُنسب الحق إلى أصحابه وعرفانًا بالجميل لابد من ذكر القادة الذين خطّطوا وسهروا الليالي وخاطروا بأرواحهم حتى يتحقق هذا النصر العظيم نصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وهؤلاء القادة هم:

١- الرئيس الراحل محمد أنور السادات – القائد الأعلى للقوات المسلحة.

٢- وزير الحربية الفريق أول / أحمد إسماعيل علي.

٣- رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الفريق سعد الدين الشاذلي.

٤- رئيس هيئة العمليات اللواء/ محمد عبد الغني الجمسي.

٥- قائد القوات الجوية اللواء طيار/ محمد حسني مبارك.

٦- قائد القوات البحرية اللواء بحري/ فؤاد ذكري.

٧- قائد قوات الدفاع الجوي اللواء / محمد علي فهمي.

٨- رئيس هيئة الإمداد والتموين اللواء/ نوال سعيد.

٩- مدير سلاح المدفعية لواء/ محمد سعيد الماحي.

١٠- مدير سلاح المدرعات لواء/ كمال حسن علي.

١١- مدير سلاح المهندسين العسكريين لواء/ جمال محمود علي.

١٢- مدير الاستخبارات العسكرية لواء/ فؤاد نصار.

١٣- قائد قوات الصاعقة لواء/ نبيل شكري.

١٤- قائد قوات المظلات عميد/ محمود عبد الله.

قيادات الجيش الثاني الميداني:

١- قائد الجيش الثاني اللواء/ سعد الدين مأمون الذي أصيب بنوبة قلبية في ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ فتولى اللواء/ عبد المنعم خليل قيادة الجيش.

٢- رئيس أركان الجيش الثاني اللواء/ تيسير العقاد.

٣- قائد مدفعية الجيش العميد/ محمد عبد الحليم أبو غزالة.

قيادات الجيش الثالث الميداني:

١- قائد الجيش اللواء/ عبد المنعم محمد واصل.

٢- رئيس أركان الجيش اللواء/ مصطفى شاهين.

٣- رئيس شعبة عمليات الجيش اللواء/ محمد نبيه السيد.

٤- قائد مدفعية الجيش العميد/ منير شاش.

قادة الفرق:

١- قائد الفرقة الثانية المشاة العميد/ حسن أبو سعدة.

٢- قائد الفرقة الثالثة المشاة الآلية العميد/ محمد نجاتي فرحات.

٣- قائد الفرقة الرابعة المدرعة العميد/ محمد عبد العزيز قابيل.

٤- قائد الفرقة السادسة المشاة الآلية العميد/ محمد أبو الفتح محرم.

٥- قائد الفرقة السابعة المشاة العميد/ أحمد بدوي سيد أحمد.

٦- قائد الفرقة ١٦ مشاة العميد/ عبد رب النبي حافظ والعميد/ أنور حب الرمان.

٧- قائد الفرقة ١٨ مشاة عميد/ فؤاد عزيز غالي.

٨- قائدة الفرقة ١٩ مشاة عميد/ يوسف عفيفي.

٩- قائد الفرقة ٢١ المدرعة العميد/ إبراهيم العرابي.

١٠- قائد الفرقة ٢٣ المشاة الآلية عميد/ أحمد عبود.

قادة المناطق والقطاعات العسكرية:

١- قائد المنطقة العسكرية المركزية : لواء عبد المنعم خليل.

٢- قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية: لواء إبراهيم كامل محمد.

٣- قائد قطاع بورسعيد العسكري: لواء عمر خالد حسن.

قادة الألوية ومجموعات الصاعقة:

١- قائد اللواء الأول المدرع : عقيد السيد محمد توفيق أبو شادي «استشهد» ثم تولى قيادة اللواء العقيد سيد صالح.

٢- قائد اللواء الأول المشاة الآلي: عقيد صلاح زكي.

٣- قائد اللواء الثالث المدرع : عقيد نور عبد العزيز وقد استشهد..

٤- قائد اللواء الثالث المشاة الآلي : عقيد شفيق متري سدراك.

٥- قائد اللواء الرابع المشاة : عقيد أحمد المصري.

٦- قائد اللواء السادس المشاة الآلي: عقيد محمد المهدي.

٧- قائد اللواء السابع المشاة : عقيد فوزي محسن .

٨- قائد اللواء الثامن المشاة : عميد فؤاد صالح زكي.

٩- قائد اللواء التاسع مهندسين: عميد جمال تلمي.

١٠- قائد اللواء ١١ المشاة الآلي: عقيد فاروق الصياد.

١١- قائد اللواء ١٢ المشاة : عقيد عادل سليمان.

١٢- قائد اللواء ١٤ المدرع عقيد عثمان كامل.

١٣- قائد اللواء ١٥ المدرع المستقل: عقيد عبد الحميد عبد السميع.

١٤- قائد اللواء ١٦ المشاة: عقيد عبد الحميد عبد السميع.

١٥- قائد اللواء ١٨ المشاة الآلي: عقيد طلعت مسلم.

١٦- قائد اللواء ٢٢ المدرع: عقيد مصطفى حسن وقد نال شرف الشهادة.

١٧- قائد اللواء ٢٣ المدرع : عقيد حسن عبد الحميد (أصيب).

١٨- قائد اللواء ٢٤ المدرع: عقيد جورج حبيب (أصيب).

١٩- قائد اللواء ٢٥ المدرع: المستقل عميد أحمد حلمي بدوي.

٢٠- قائد اللواء ٩٠ المشاة الآلي: عقيد صالح بدر.

٢١- قائد اللواء ١٠٩ مهندسين كباري: عميد فؤاد محمد سلطان.

٢٢- قائد اللواء ١١٢ المشاة: عقيد عادل يسرى (أصيب).

٢٣- قائد اللواء ١١٦ المشاة الآلي: عقيد حسين رضـوان وقـد نال شرف الشهادة.

٢٤- قائد اللواء ١٣٠ مشاة خاص: عقيد محمود شعيب.

٢٥- قائد اللواء ١٨٢ مظلات : عقيد إسماعيل عزمي.

٢٦- قائد المجموعة ٣٩٠ خاصة: عقيـد إبـراهيم الرفـاعي وقـد نال شرف الشهادة.

٢٧- قائد المجموعة ١٢٧ صاعقة : عقيد فؤاد بسيوني.

٢٨- قائد المجموعة ١٢٩ صاعقة: عقيد علي هيكل.

٢٩- قائد المجموعة ١٣٦ صاعقة عقيد كمال عطية.

٣٠- قائد المجموعة ١٣٩ صاعقة عقيد أسامة إبراهيم.

٣١- قائد الكتيبة ٦٠٣ مشاة آلية وقائد موقـع كبريـت: المقـدم إبراهيم عبد التواب وقد نال شرف الشهادة.

مصادر الكتاب

١- حرب أكتوبر للمشير محمد عبد الغني الجمسي.

٢- ملفات السويس للأستاذ/ محمد حسنين هيكل.

٣- أيام لها تاريخ للأستاذ/ أحمد بهاء الدين.

٤- حلقات الأستاذ/ محمد حسنين هيكل - بقناة الجزيرة.

٥- كتاب التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط للسيد/ إسماعيل فهمي، وزير الخارجية الأسبق.

٦- كتاب ثورة عبد الناصر للأستاذ/ شوقي عبد الناصر.

٧- كتاب الحرب طريق السلام للأستاذ «حمدي الكنيسي».

٨- شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت».

٩- مقابلات بعض الذين عاصروا المشير وعملوا معه سواء من رجال مقاومة القناة أو الضباط.

١٠-حكايات حرب أكتوبر للأستاذ/ أيمن سلامة.

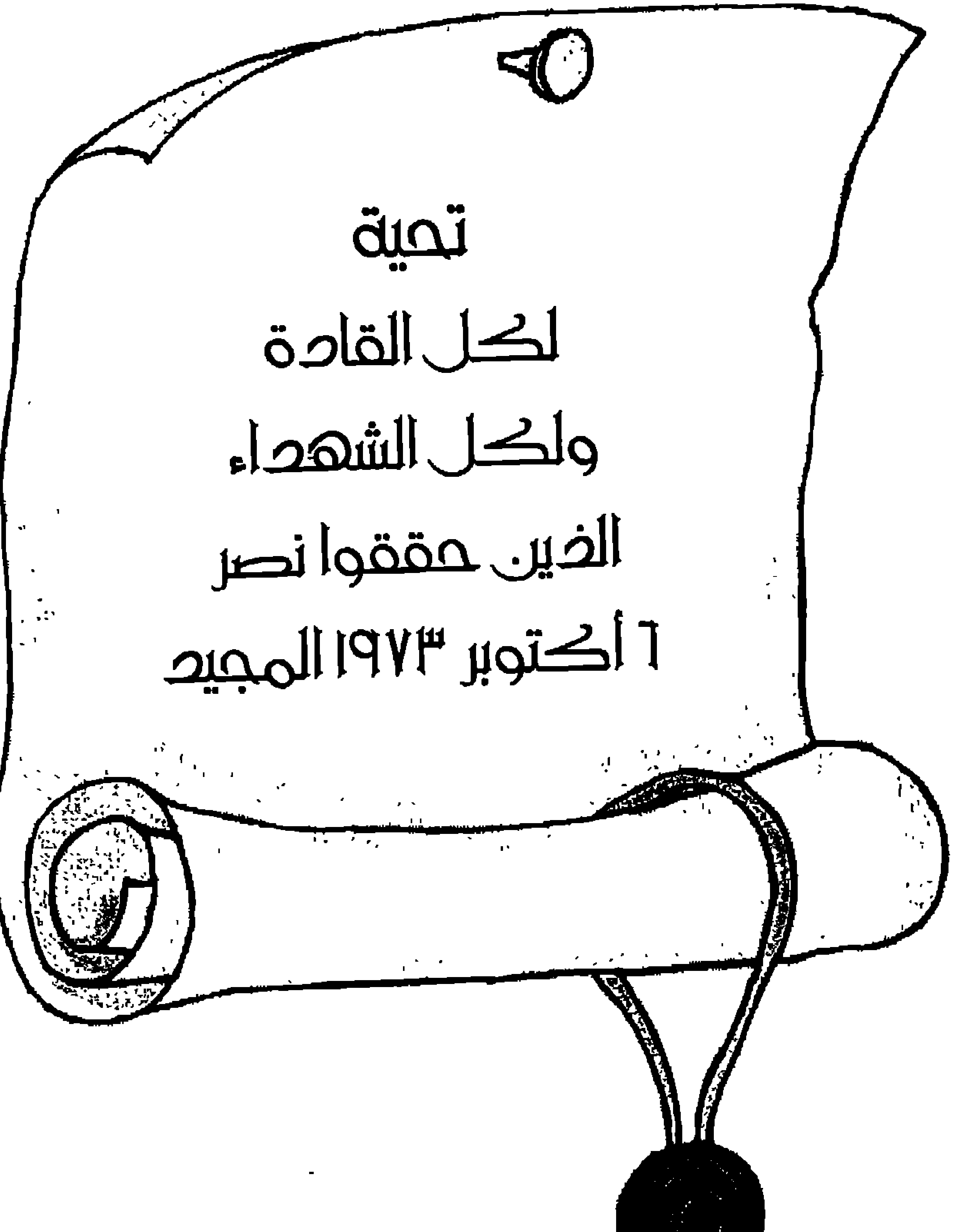
تحية
لكل القادة
ولكل الشهداء
الذين حققوا نصر
٦ أكتوبر ١٩٧٣ المجيد

المؤلف

محمد عبده مجاهد الجمسي.

١- حاصل على بكالوريوس الصحافة – كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٧٧م.

٢- إعلامي وعضو المركز الصحفي بمبنى الإذاعة والتلفزيـون التابع للهيئة العامة للاستعلامات.

٣- من مواليد ١٩٥٤.

٤- شارك من خلال عمله في العديـد مـن المؤتمرات الدوليـة والمحلية التي عقدت بمصر وحصل على شهادات تقدير من بعضها.

٥- أشرف من خلال عمله علـى تنفيـذ الكـثير مـن الـبرامج التلفزيونية والصحفية للوفود الأجنبية والعربية التي تـزور مصر.

٦- اجتاز دورة المستشـارين الإعلامـيين بالمعهـد الدبلوماسـي بوزارة الخارجية، وحصل على ميدالية منه.

٧- كان مشـروع تخرجـه مـن كليـة الإعـلام هـو عـن تحليـل لمقالات الأستاذ محمد حسنين هيكل في السبعينات.

الفهرست

- مقدمة ٧
- الفصل الأول: لمحات سريعة ١٠
- الفصل الثاني: من مرحلة الطفولة إلى يوليو ٥٢ .... ١٧
- الفصل الثالث: الجمسي وحرب ٥٦ وما تلاها ٢٤
- الفصل الرابع: الجمسي وحرب يونيو ٦٧ .... ٢٩
- الفصل الخامس: الجمسي وحرب الاستنزاف ٤٠
- الفصل السادس: الجمسي وسنوات ما قبل أكتوبر ٧٣.... ٤٦
- الفصل السابع: الخطة الأخيرة لحرب أكتوبر ٧٣ «كشكول الجمسي» ٥٣
- الفصل الثامن: الذكاء العربي يقهر الدهاء الإسرائيلي ٥٩
- الفصل التاسع: الله أكبر.. وتحقق العبور ٦٢
- الفصل العاشر: الجمسي وتطوير الهجوم.................. ٦٦
- الفصل الحادي عشر: الجمسي يرفض مصافحة الوفد الإسرائيلي ٧٠
- الفصل الثاني عشر: المشير الجمسي يودع الحياة العسكرية.. ٧٦
- الفصل الثالث عشر: نصر أكتوبر والجمسي من وجهة النظر الإسرائيلية ٧٨
- الفصل الرابع عشر: قادة نصر أكتوبر ٨٨

المشير الجمسي
سيرة و مسيرة

★ هذا الكتاب ★

حياة حافلة بالمواقف البطولية و التواريخ المضيئة. يستعرض هذا الكتاب تلك الرحلة منذ ولد بالبتانون عام ١٩٢١ إلى أن توفاه الله عام ٢٠٠٣، عاشت مصر فيه و عاش فيها، سطّر بأحرف من نور منظومة إخلاص و تفان وعبقرية شهد له بها العدو و الصديق.

★ المؤلف ★

١- محمد عبده مجاهد الجمسي.

٢- حاصل على بكالوريوس الصحافة، كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٧٧.

٣- إعلامى وعضو المركز الصحفى بمبنى الإذاعة و التلفزيون التابع للهيئة العامة للإستعلامات.

٤- شارك من خلال عمله فى العديد من المؤتمرات الدولية والمحلية التى عقدت بمصر وحصل على شهادات تقدير من بعضها.

٥- أشرف من خلال عمله على تنفيذ الكثير من البرامج التلفزيو... للوفود الأجنبية والعربية التى تزور مصر.

٦- إجتاز دورة المستشارين الإعلاميين بالمعهد الدبلوماسى بوزارة الخ... على ميدالية منه.

٧- للمؤلف دراسة عن تحليل لمقالات الأستاذ محمد حسنين هيكل فى...

048
1mu
Bibliotheca Alexandrina
08077590